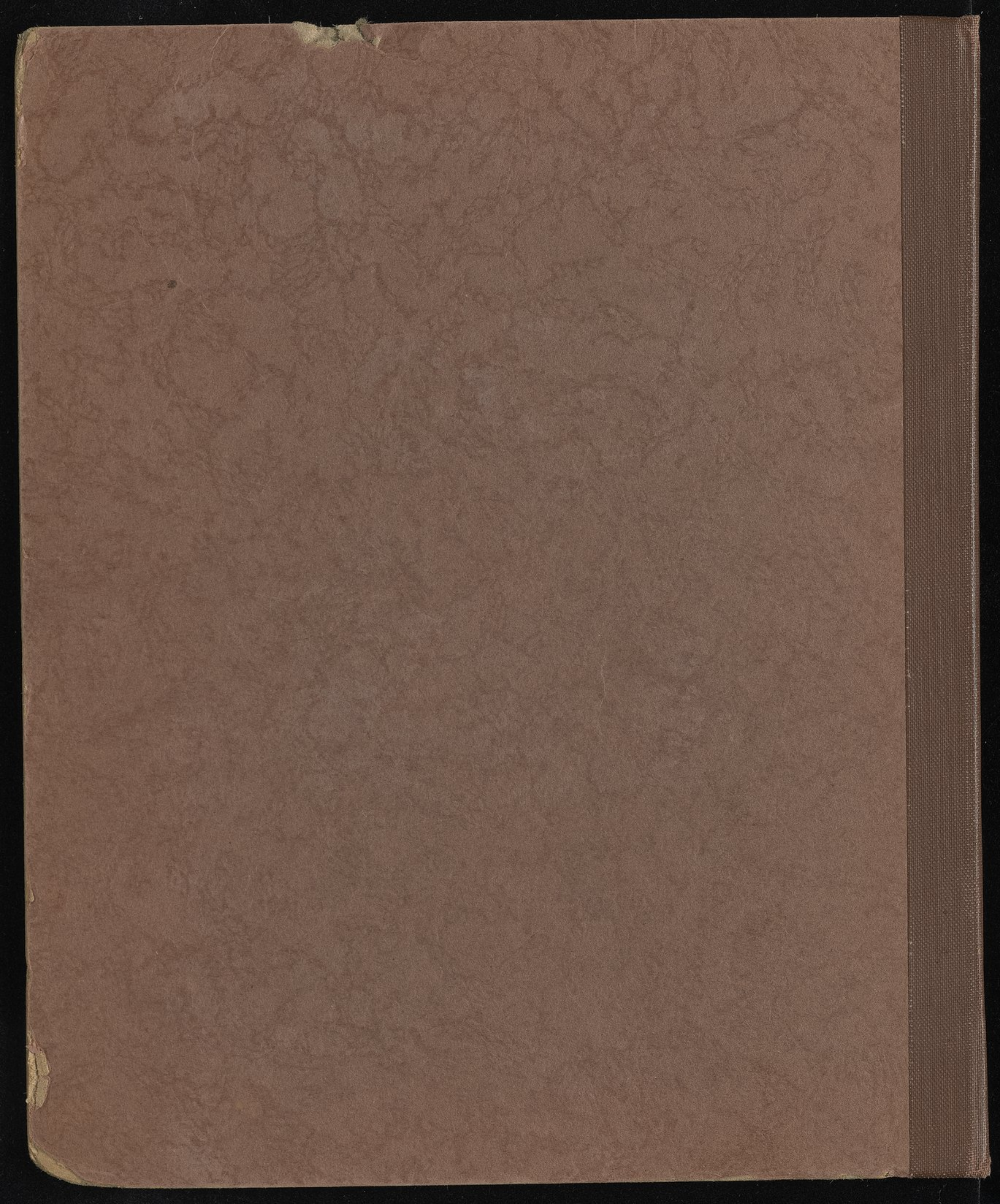



Gaylord
PAMPHLET BINDER
Syracuse, N. Y.
Stockton, Calif.


SIGILLVM · COLLEGII · COLVMBIAE · NOVI · EBORACI
IN LVMINE TVO VIDEBIMVS LVMEN

ماج

ابراهيم عبده
ماجستير فى الآداب مع طبقة الشرف

تاريخ الطباعة والصحافة فى مصر
خلال الحملة الفرنسية
١٧٩٨ — ١٨٠١

مقدمة

عنى المؤرخون - فرنجة ومصريون - بتاريخ مصر الحديث، وانصبت عنايتهم على شئون مصر السياسية وانصرفوا عن التخصص لدراسة أوجه النشاط المختلفة التى ترتبط من قريب أو بعيد بما انقطعوا له وشغلوا به المكتبة المصرية الحديثة .

ورأى الأستاذ شفيق بك غربال يوم كان أستاذا للتاريخ الحديث بكلية الآداب أن فى مقدور تلاميذه بحث أوجه هذا النشاط فقامت مدرسته بتلبية ندائه ، وأنشأ طلابه الرسائل والكتب فى تاريخ التعليم والصناعة والتجارة فى مصر ، مستمدين ذلك فى أكثره من دور المحفوظات والوثائق المحفوظة هنا وهناك .

وكان نصيبي من هذه المدرسة الجديدة بحث تاريخ الصحافة المصرية ومعاوناتها المادية ؛ فلما فرغت من إجازة امتحان الماجستير رغبت فى نشر رسالتى مجتمعة ، وهى تضم تاريخ الصحافة المصرية منذ الاحتلال الفرنسى إلى نهاية حكم الخديو اسماعيل سواء كانت صحافة عربية أو فرنجية ، رسمية بأشراف الحكومة أو حرة من

صنع الشعب ، بيد أنه تبين لى أن أمر النشر متعذر على الصورة التى أحبها فى ظروفنا الحاضرة ، ووجدت أن تاريخ الصحافة فى مصر مرتبط منفصل ، فلعهد الحملة الفرنسية صحف عاشت لها وجلت معها ، وهكذا كان للصحافة المصرية تاريخ منفصل من حيث الزمن والمثل ، متصل من حيث تطور الأشياء وارتقاؤها فأنشأت هذه الفصول عن الطباعة والصحافة فى مصر خلال الحملة الفرنسية ، وهى وإن عنى بها بعض المؤرخين الفرنجة فأن كثيرين من المصريين يجهلونها ولا يعرفون عنها إلا قليلا نادراً أكثره سلسلة متصلة من الأخطاء .

وقد عمدت إلى نشر هذه الفصول فى كتيب قد يفيد طلاب هذه الناحية من التاريخ على أن تكون مقدمة لكتب أخرى فى تاريخ الصحافة . وإنى مدين فى إخراج معظم فصول هذه الرسالة القصيرة الى إرشادات أستاذى الجليل محمد شفيق غربال بك وكيل وزارة المعارف المساعد ، وخاصة الفصول التى تتصل بالصحافة فى تلك الفترة ، فقد هيأ لى من عطفه ورعايته فرصة العمل والمثابرة عليه يوم وكل إلى بحث تاريخ الصحافة فى مصر .

مصادر البحث

تنقسم أهم المصادر التى رجعنا إليها إلى عدة أقسام ، بعضها وثائق وبعضها كتب معاصرة أو حديثة وبعضها الآخر مقالات نشرت فى المجلات العلمية ثم الصحف التى صدرت فى ذلك العهد ويبدو لى أن أهم الوثائق فى مكتبة هذه الرسالة القصيرة «مراسلات نابليون الأول Correspondance de Napoléon 1er» وخاصة الجزأين الرابع والخامس منها ، وقد نشرت هذه المراسلات بأمر الأمبراطور نابليون الثالث ، وتضمن الجزءان المشار إليهما جميع الأوامر التى صدرت من الجنرال بونابرت القائد العام للحملة الفرنسية بشراء مطابع الحملة ونقلها والأشراف عليها . وكذلك اعتمدنا بعض الاعتماد على كتاب « وصف مصر Description de l'Egypte » وهو خير مؤلف نشر عن جهد الحملة الفرنسية فى جميع نواحى الحياة المصرية ، وقد قام بتصنيفه علماء الحملة وقادة الفكر فيها واستوجب إخراجه بضع سنوات من مطلع القرن التاسع عشر .

وقد كتب بعض المعاصرين عن الطباعة والصحافة فى مصر من أمثال دجنت Desgenettes كبير أطباء الحملة الذى ساهم بقسط وافر فى علاج داء الجدرى فى مصر ، وقد تضمن كتابه « تذكار طبيب فى حملة مصر

Souvenir d'un médecin de l'éxpédition d'Egypte »

بعض ما يخص المطابع والصحف المصرية ، وأشار جالان Galland أحد موظفى المطبعة الى النشاط المطبعى والصحفى فى كتابه « صورة لمصر خلال إقامة الجيش الفرنسى

Tableau de l'Egypte Pendant le séjour de l'armée française "

ولا يتميز هذا الكتاب إلا بمبالغة صاحبه وادعائه ، غير أن كاتبه يذكر أحيانا بعض شئون بحثنا فى شىء من الدقة لارتباطه الوثيق بتلك المؤسسات ، وكذلك ذكر بورين Bourrienne فى كتابه « مذكرات بورين Mémoires de M. De Bourrienne » قليلا جداً عن المنشآت الصحفية التى أوجدتها الحملة الفرنسية ، وكان بورين هذا سكرتيراً خاصاً لبونابرت ، وعيب كتابه الواضح اعتماده فى أكثر ما كتب على الذاكرة .

ومن المؤرخين المحدثين الذين أفادتنا مؤلفاتهم فرانسوا

شارل رو F. Charles - Roux فى كتابه « بونابرت حاكم مصر Bonaparte Gouverneur d'Egypte » ويمتاز هذا الكاتب بأسلوبه الرائع وطرائقه البديعة فى تناول بحوثه ، وله فى كتابه هذا فصل عن الطباعة والصحافة المصرية على عهد بونابرت يعتبر أحدث وأدق ما كتب فى هذا الموضوع ؛ ومن الذين رجعنا إليهم أيضا مينييه Munier فى كتابه « الصحافة فى مصر ١٧٩٩ — ١٩٠٠

La Presse en Egypte 1799 — 1900 »

وهو كتيب صغير درس الصحافة المصرية دراسة سريعة وأهم فصوله تخص تاريخ الصحافة فى عهد الاحتلال البريطانى .

وقد شغلتنا الصحيفة العربية التى ذكر أكثر من مؤرخ أنها صدرت فى عهد الجنرال بونابرت ، فرجعنا لتحقيق هذا الموضوع الى روسو Rousseau فى كتابه « كليبر ومنو فى مصر منذ رحيل بونابرت Kléber et Ménou en Egypte depuis le départ de Bonaparte »

وكذلك ساهم الجبرتى فى تاريخه « عجائب الآثار » فى كشف حقيقة هذه الصحيفة المزعوم نشرها ، ومثله فى ذلك ريجو Rigault فى كتابه « الجنرال عبد الله منو وآخر مظهر للحملة المصرية « Le Général Abdallah Menou et la dernière phase de l'éxpédition d'Egypte

وإلى هذه المصادر الثلاثة يرجع الفضل فى تحقيق قصة الصحيفة العربية تحقيقا علميا يضع حداً للخلاف على أمرها بين الكتاب والمؤرخين .

أما المقالات العلمية فأهمها مقالات بولان Belin فى « المجلة الأسيوية Journal Asiatique » لسنة ١٨٥٤ وقد أنصب بحثه على شؤون المطابع ومدير المطبعة ، ومنها أيضاً بحث نشره كانيفيه Canivet عن « حملة مصر » فى La Revue Internationale d'Egypte 1906 ولنفس الكاتب بحث آخر نشره عن مطبعة الحملة وصحفها وجلسات المجمع العلمى فى Bulletin de l'Institut Egyptien 1909 ، ومن الذين نشروا مقالات عن المطبعة جيس Geiss فى مجلة المجمع العلمى ١٩٠٧ ويبدو أن الكاتبين الأولين أكثر دقة ووضوحا من جيس .

أما الصحيفتان المصريتان Le Courrier و La Décade فقد رأينا أن أفضل طريقة لتاريخهما الرجوع إليهما لأنهما تضمنتا كثيراً من تاريخهما ، وعندى أن تحليل ما فى الصحيفتين أجدى على الباحث من التفاصيل الأخرى ، وهاتان الصحيفتان نادرتا الوجود فلا تحتفظ بأعدادهما كاملة إلا المكتبة الأهلية بباريس ودار الكتب المصرية والمتحف البريطانى بلندن .

الفصل الأول

المطابع الرسمية والمطبعة التجارية

اعداد مطابع الحملة الفرنسية . أنواع المطابع . المطبعة العربية وأهميتها . موظفو المطابع . مارسيل مدير المطابع الرسمية . نشأته وتعليمه . أعماله فى مصر . آثاره الأدبية والعلمية . المطبعة التجارية . أوريل مدير المطبعة التجارية . نشأته ومغامراته . آثاره فى الطباعة والصحافة .

الفصل الثانى

أدوات النشر وعمل المطابع

قانون المطبوعات . مركز مارسيل بعد القانون . مراقبا المطبوعات . أسباب اختيارهما . اضطراب مواعيد النشر . ورق الطبع وحروف المطابع . المشايخ ومؤسسات المطبعة . نشاط المطابع . نشر الكتب والقوانين . خدمات المطبعة العربية . أين ذهبت المطابع بعد جلاء الحملة ؟

الفصل الثالث

طرق الأذاعة والأخبار فى مصر

النظام الأخبارى فى العهد القديم . توارث الطرق الأخبارية . دور المعابد والمساجد . المؤذنون عدة صحفية . طريقة البرد . المنادى فى مصر . الطريقة الأخبارية فى مفترق الطرق . نابليون والصحافة . صحافته فى إيطاليا ومالطه . أسباب صدور صحيفتين فى مصر .

الفصل الرابع

جريدة لوكورييه دوليجبت

ناحية الشكل . موضوعات الجريدة . الأخبار الداخلية والخارجية . أنباء الحفلات . المقالات الأدبية . أخبار الرحلات رؤساء التحرير . الشعر فيها . أخبار الديوان والمجمع العلمى . الوفيات فى مصر وأوروبا . الأعلانات فى الجريدة . صدق الرواية .

الفصل الخامس

مجلة لاديكاد إجبسين

رؤساء تحريرها . ما نشره أوريل من أعدادها . موضوعات المجلة . الترجمة العربية فيها . الشعر والسياسة . رسالة دجنت للديوان . رد الديوان على الرسالة . نشاط المجلة .

الفصل السادس

جريدة التنبيه

اختلاف المؤرخين . من فكر فى إنشائها ؟ صدور المرسوم . الغرض منها . الخشاب رئيس التحرير . موضوعات الجريدة . الأمل فى انتشارها . مراقب التحرير . إحاطة العلماء بموضوعاتها . أقوال الفرنجة فى ظهورها . الجبرتى والجريدة . التنبيه لم تظهر

الفصل الأول

المطابع الرسمية والمطبعة التجارية

لم ير بونابرت أن يفتح للفرنسيين مصر والشرق بالحديد والنار وأن يكون قوام حملته جنودا وقوادا فحسب ، بل اصطحب معه العلماء فى كل علم والأدباء فى كل فن ولم تخل جعبته من الشعراء والموسيقيين والممثلين ، وكان حريصا على أن تكون آثار حملته علمية يدرس فيها الشرق الذى لا يعرف عنه الغربيون شيئا كثيرا ، ويتعرف على تلك الشعوب التى طالما سمع بها . فلم يكن بد من أن ينظم دعايته تنظيما خاصا يتيح له الاتصال بالناس والتحبب إليهم فأعد لذلك مطابع فرنجية وعربية تعاونه فى تسجيل حوادث الحملة ودراستها كما تقدمه الى المصريين وتعلن عليهم أغراضه ونواياه .

وكانت حكومة الأدارة قد هيأت للحملة كل ما طلبت من مهندسين وآلات وعلماء ومستشرقين وأصدرت أمرا لوزير الداخلية بتنفيذ كل ما يحتاج اليه بونابرت فى ٢٦ Ventôse سنة ٦ جمهورية (١٦ مارس ١٧٩٨) غير أن بونابرت لم يكن مستريحا الى الأجراءات البطيئة فى التنفيذ فكتب يشكو الى وزير

الداخلية مدير المطبعة الجمهورية والمستشرق لانجليه Langlès (١)
اللذين « أظهرا أقبح النوايا » وطلب الى الوزير أن يصدر
« الأمر القاطع بأن تشحن الى الميدان جميع الحروف العربية
الموجودة خلاف القوالب ، وأن يؤمر المواطن لانجليه بمرافقتها »
وقد ضايقه اعتذار لانجليه عن السفر « فاذا كان فى استطاعة هذا
المستشرق أن يبدى للمسئولين معاذيره فأن للوطن عليه حقا
وبما أن الجمهورية علمته وراعته من زمن بعيد فلها عليه حق
اطاعتها ، كما انى ارجو أن تصدروا أمركم بأن تعبأ أيضا الحروف
اليونانية التى يطبع بها الآن X énophon وليس هناك ضرر كثير
من تعطيل طبع اكسونوفون شهورا ثلاثة الى أن تعد له
حروف جديدة . كما أرجو أن تأمروا أيضا بتعبئة حروف تكفى
ثلاث مطابع فرنسية . . . . » (٢)

---

(١) كان لانجليه رجلا هادىء الطبع لا يحب المغامرات وكان مستشرقا ساهم فى إنشاء مدرسة اللغات الشرقية وله تراجم ومؤلفات قيمة ، وكان بونابرت يعرف له إلمامه التام باللغات الشرقية فاختاره كبيراً لتراجمة الحملة فلما تمنع عاقبه بأهماله واختيار غيره .

(٢) وثيقة رقم ٢٤٥٢ ص ٢٤ جـ ٤
Correspondance de Napoléon 1er

ولم تكن المطبعة العربية وحدها كما رأينا بل كانت جزءا من مؤسسة كبيرة تحتوى على مطابع فرنسية وعربيــة ويونانية ، بيد أن اعتماده على المطبعة العربية جاوز اعتماده على المطابع الأخرى نظرا لما كان يرجوه منها فى سياسته المرسومة ازاء المصريين ، وكان حرصه عليها كحرصه على علمائه فى نجاح الحملة من الناحية العلمية ، فهو شديد الرغبة فى أن يصحبه الى مصر العالم مونج Monge لواسع شهرته وباعه الطويل فى الرياضيات ، فلما كتب اليه القائد العام ليوافيه استعدادا للرحيل — وكان رئيس المجمع العلمى المصرى فيما بعد فى روما بصحبــة الجنرال Désaix — اعتذر مونج قائلا « دعنى بين الناس أعجب لهمتك وأقدر خدماتك وأغنى نصرك » (١) فكتب اليه بونابرت فى ٤ ابريل سنة ١٧٩٨ موضحا له مكانته فى الحملة ، تلك المكانة التى تعادل فى القدر والمسئوليــة المطبعــة العربية « إنى اعتمد على المطبعة العربيــة فى الدعاية وعليك . فهل أصعد بالأسطول فى التيبر لأصحبك ؟ » (٢)

---

(١) Driault (Edward) Napoléon Le Grand T. 1. P. 175

(٢) وثيقة رقم ٢٤٧١ ص ٣٩ جـ ٤
Correspondance de Napoléon 1er

فأذا كان للناحية المدنية فى الحملة شأن كبير فمن أخطر ما فيها المطبعة العربية التى بلغت مكانتها قدر مونج رأس علمائه فى مصر وكان بونابرت معنيا بأمرها عارفا أهميتها حتى انه عاد فكتب الى مونج بعد كتابه الأول بأيام ثلاثة يذكره بأمرها « إنى أوصيك خاصة بالمطبعة العربية للدعاية » (١) ولم يكتف القائد العام بما أمدته الحكومة من مطابع وحروف سواء من باريس أو روما بل أصدر أمرا الى كافاريللى Caffarelli (٢) فى ٢١ فلوريال سنة ٦ جمهورية لشراء ملحقات لمطابع الحملة كلفته ١٠,١٦١ فرنكا (٣)

---

(١) وثيقة رقم ٢٤٧٩ ص ٤٣ جـ ٤
Correspondance de Napoléon 1er

(٢) كان كافاريللى من سلالة أسرة فرنسية نبيلة عرف المواقع الحربية مع كليبر فى خلال الحملة الايطالية وفقد احدى ساقيه فى موقعة حربية على الراين وقد سجن أربعة عشر شهرا فى عهد الأرهاب ثم عين عضوا فى المجمع العلمى المصرى فى حملة بونابرت ، وقد حاز رضى القائد العام فأناط به الاشراف على الأدوات والكتب التى كانت الحملة فى حاجة اليها قبيل ابحارها من مارسيليا
Canivet « L'Expédition d'Egypte » Rev. Int. d'Egypte 1906 P. 9.

(٣) Canivet : Bull de l'Inst. Egyp. 1909 P. 3

اهتم الجنرال بونابرت بالمطابع التى صحبهـا معه فى الحمـلة المصرية كما راعى فى اختيـارها أن تكون مستعدة للقيـام بعملها على وجه يحقق رغباته ، وخاصة المطبعة العربية التى أثبتت الوثائق مدى اعتماده عليهـا فى الدعاية . وقد انقسمت مطابع الحمـلة إلى قسمين ، أحدهما فرنجى والآخر شرقى يجمعهـا فى البحر اسم « مطبعـة الجيش البحرى » وفى الاسكندرية « المطبعـة الشرقيـة والفرنسية (١) وفى القاهرة فيما بعد اسم « المطبعة الأهلية »

وقـد قام على خدمة المطابع الفرنجيـة كثير من المصححين والطابعين ذكرهم بورين فى مذكراته بأنهم سبعة عشر عضوا (٢) وذكر كانيفيه أنهم اثنـان وعشـرون دون أن يحتسب فيهم المدير (٣) واعتبرهم شارل رو ثلاثة وعشرين عضوا مع احتساب مارسيل مدير المطبعة (٤) وظاهر أن كليهما أصدق من بورين لعنايتهما فى البحث ولأن بورين اعتمد فى مذكراته كما يلوح

---

(١) Charles-Roux « Bonaparte Gouverneur d'Egypte » Paris 1936 P. 139

(٢) ص ٣٨٣ ج ٢ باريس ١٨٢٨
Mémoires de M. De Bourrienne

(٣) Bull. de l'Inst. Egyp. 1909 P. 5

(٤) Charles - Roux P. 139

لنا على الذاكرة أحيانا على أن الستة الذين أسقطهم من حسابه سكرتير نابليون لم يكونوا بذى بال فى ادارة المطبعة ونحن نذكر هنا أسماء هؤلاء الموظفين ومراتبهم فيها :— (١)

(١) مارسيل	مدير المطبعة الرسمية
(٢) بودوان	مساعد مدير المطبعة
(٣) بسون	مصحح ومدير مطبعة الاسكندرية فيما بعد
(٤) جالان	»
(٥) بنتيه	»

عمـــال المطبعة

(١) ديزيران	(٢) لوجييه	(٣) ابرهار
(٤) لافورى	(٥) كوزى	(٦) باربيه
(٧) ماركوى	(٨) بولانجيه	(٩) بوانسيلو
(١٠) بوييه	(١١) جاردان	(١٢) فيرى
(١٣) ديبواه	(١٤) جرانسار	(١٥) مارليه
(١٦) ليتيون	(١٧) كاستوراه	(١٨) لابورت

وكان هذا العامل الأخير طالبا بمدرسة اللغات الشرقية وتوفى فى مصر سنة ١٧٩٩ .

(١) Canivet : Bull. de l'Inst. 1909 P 4

أما المطبعة الشرقية فقد صدر أمر القائد العام فى ٢٨ جرمينال Germinal سنة ٦ جمهورية بأن يكون موظفوها على الوجه الآتى :—

موظفو المطبعة الشرقية

الاسم	الوظيفة	المرتب الشهرى
(١) دون اليا فاتالا	من ديار بكر مترجم	٣٢٤ فرنكا
(٢) يوسف ميرابكى	« دمشق	١٣٥ «
(٣) جيوفانى جيورجى	استغنى عنه	
(٤) جيوفانى رينو		١٠٨ «
(٥) كاميللو ريجا	صفاف حروف	١٠٨ «
(٦) نيكولا روسللى	« «	١٠٨ «
(٧) فرنسسكو ماكجنى	« «	١٠٨ «
(٨) جيسب دودومينيسيس	ناشر	١٠٨ «
(٩) لويجى بلليجرينى	«	١٠٨ «
(١٠) فيليس انسجليونى	«	١٠٨ «

وقد بلغت مرتبات موظفى المطبعة الشرقيـة فى الشهر ١٢١٥ فرنكا ، وكان أهم موظفيها دون اليا فاتالا Don Elia Fatalla . وهو من ديار بكر وكانت مرتبته فى هـذه المطبعة تعـادل مرتبـة

مارسيل فى المطبعة الفرنجية ، وكان يشغل قبيل الحملة وظيفة مترجم فى مطبعة الدعاية العربية (١)

يوحنا يوسف مارسيل Jean Joseph Marcel

وقد تميزت المطبعة الرسمية بأدارة يوحنا يوسف مارسيل الذى كان من أظهر رجال الحملة استشراقا فقد كانت نشأته وميوله تفرضان عليه هذا الاتجاه الملحوظ فى حياته جميعا ، ولد مارسيل بباريس فى ٢٤ نوفمبر سنة ١٧٧٦ من أب كان قد شغل فى يوم ما وظيفة القنصل العام فى الشرق وهو كهل قد بلغ حين رزق بمارسيل الرابعة والستين من عمره ، ولم يعمر طويلا بعد مولده ، فقامت أمه برعايته ومهدت له طريق التعليم فى جامعة باريس ، فدرس فيها الرياضة والعلوم خاصة (٢) ويمتاز المترجم فى حياته الجامعية بنشاط علمى أتاح له مجال الظهور على أقرانه ، فمنح كثيرا من المكافآت المدرسية جزاء جده ونشاطه ، وقد ربطت أواصر التقدير والأعجاب فى حياته الجامعية بينه وبين الأستاذ جرونيه Grenet وهو من الأساتذة الجامعيين المعروفين بكفاءتهم

(١) Charles - Roux. P 139

(٢) Canivet : Bull. de l'Inst. Egyp. 1909 P 6

فى العلوم الجغرافية والمحببين الى القصر إذ ذاك .

بدأ مارسيل حياته العملية فالتحق بأحدى المصالح بعد أن أجاز دراسته التعليمية ولم يكن قد تجاوز بعد السابعة عشر من عمره ، ثم اختير فى هذه السن المبكرة رئيسا لتحرير صحيفة مدارس المعلمين Journal Des Ecoles Normales وكان من أهم وظائفه فيها أن يلخص ما يلقيه الأساتذة ويفسره تفسيرا يلائم الطلاب ويساعدهم على الفهم ، ثم تتلمذ على برتوليه وفولنى Volney ولابلاس Laplace وكانوا من أظهر اساتذة مدرسة اللغات الشرقية ، ونازعت نفسه تقاليد الأسرة القديمة فاشتغل بدراسة التاريخ ، ومضى ينقل محاضرات الأساتذة ويرتبها حتى جمع منها ثمانية مجلدات ضخمة فى هذه المادة (١) وقد ارتبط فى مدرسة اللغات الشرقية بعلاقات من الود والتقدير مع الأساتذة لانجليه Langlès ودوساسى Silvestre de Sacy وفانتير Venture de Paradis وخاصة الأخير منهم فأنه كان شديد العطف عليه حتى إنه أوصى به ليكون عضوا فى لجنة العلوم والفنون ، ثم كان لمعرفته اللغة العربية دخل كبير فى اختياره

(١) ص ٥٤٤ Belin (M.) Journal Asiatique 5è Sèrie T III 1854

مديرا لمطبعة الحملة ، غير أن نشاطه بعد انتخابه عضوا فى لجنة الفنون والعلوم كان مقصورا فى أكثره على اللجنة دون المطبعة .

أدى نشاط مارسيل فى صحيفة مدارس المعلمين إلى اختياره محررا لجريدة « الأخبار العامة

« Journal des nouvelles Publiques

بيد أن الجريدة لم تعمر طويلا اذ صادرتها الحكومة وهرب أصحابها خوفا من القبض عليهم (١) ولم يكن مارسيل صحفيا من الناحية النظرية فحسب بل كان على خبرة تامة بأصول الصحافة العملية وتفاصيل الطباعة وان لم يكن من محترفى هذه الصناعة الأخيرة ، فهو وحده الذى قام فى البحر بطبع المنشور الذى وزع على سكان مصر باللغة العربية (٢) ، كذلك طبع وهو على الباخرة (الشرق) باللغة الفرنسية بعض المنشورات التى وزعت على جنود الحملة قبيل وصولها الى الشواطىء المصرية بأيام ثلاثة(٣) لذلك كانت معرفته باللغة العربية وشؤون الشرق وتاريخه ودراسته

---

(١) ص ٧ Canivet : Bull, de l'Inst, Egyp, 1909

(٢) ص ٥٥٥ Belin. J. Asiatique

(٣) ص ٧ Canivet ; Bull de l'Inst, 1909

العميقة لصناعة الطبع والنشر فى فرنسا ومصر مؤهلا لاختياره مديرا للمطبعة الجمهورية التى غدت فيما بعد المطبعة الامبراطورية(١)

عين مارسيل بعد عودته الى فرنسا مديرا للمطبعة الجمهورية سنة ١٨٠٤ وبقى يديرها الى سنة ١٨١٥ بعد أن تغير اسمها وأصبحت المطبعة الأمبراطورية وفى خلال تلك الفترة منحه نابليون وسام (الليجيون دونور)، وقد أحدث وجوده فى ادارة هذه المطبعة نشاطا غير معهود فأعاد تأسيسها وتنظيمها، وأمدها بالحروف لسبع عشرة لغة أجنبية، وجدد آلات الطباعة فيها وأضاف إليها خمسين مطبعة جديدة، وقد بلغ النظام والدقة فيها درجة كبيرة دعت البابا بيوس السابع الى زيارتها، فأذا دخلها البابا بدأ العمال فى طبع كتاب من مائة وخمسين صفحة، حتى اذا أتم الحبر الكبير الزيارة وأشرف على مغادرة المطبعة أهدى اليه الكتاب الذى شاهد منه أول صفحة تطبع عند مقدمه(٢)

وللمارسيل تاريخ علمى مجيد سواء فى مصر أو فى فرنسا فله كتب شتى أكثرها عن تاريخ مصر والشرق اذ اشترك فى كتاب

---

(١) ص ٦٠٠ جـ ٢ Dupont (Paul) Histoire de l'Inprimerie Paris 1854

(٢) ص ٥٥٧ — ٥٥٨ Belin, J, Asiatique

وصف مصر Description de l'Egypte ، ونشر وصفا لجامع ابن طولون ، وله كذلك وصف تاريخى لمقياس الروضة ورسالة عن المارستان الكبير بالقاهرة ويسميه الناصرى نسبة الى الملك الناصر محمد قلاوون ، ومارسيل أحد مؤلفى كتاب التاريخ العلمى والحربى للحملة الفرنسية

Histoire Scientifique et Militaire de l'Expédition Française en Egypte

فى عشر مجلدات ساعده فى اخراجه M. Louis Reybaud ، وله أبحاث مستفيضة عن الآثار العربية فى مصر وما عليها من خطوط كوفية منشورة فى الجزء الخامس عشر من كتاب « وصف مصر » ونشر للشيخ المهدى قصصا غريبا فى سنة ١٨٣٢ ولم يقتصر نشاط مارسيل على المسائل المصرية وتأريخها بل نشر مصنفا عن المحادثات المغربية وترجمتها باللغة الفرنسية سنة ١٨٣٠ وهى التعبيرات المغربية العامية لتونس ومراكش نفدت طبعته بعد شهرين من صدوره ، كذلك ألف كتابا فى « تاريخ تونس » وله غير ذلك كثير من الموضوعات القصيرة فى المسائل المصرية والشرقية مما يصعب حصرها هنا وقد كان لمارسيل مكتبة فخمة تجاوز عدد كتبها الخمسة عشر ألف كتاب من بينها مخطوطات

عربية نادرة ، وكان يعتبر فى فرنسا فى القرن التاسع عشر اماما للمستشرقين فى أوروبا وهو أحد المؤسسين للجمعيـة الآسيوية بباريس (١)

ويمتاز مارسيل فى مصر بأنه كان مديرا لعدة مطابع (٢) فقد رأينا فيما تقدم ذكرا للمطابع الفرنسية الثلاث ، والمطبعةاليونانية أما اللغة العربية فكانت لها مطبعتان جاء ذكرهما فى الخطاب الذى ارسله بونابرت من القـاهرة الى كليبر فى الاسكنـدرية فى ٢٦ اغسطس سنة ١٧٩٨ يقول فيه « من أهم الأشيـاء التى نحن فى اشد الحاجة اليها احدى المطبعتين العربيتين » (٣)

وتعتبر هذه المطابع كلها مطبعة واحدة تحت رئاسة مارسيل يعاونه بضعة موظفين إخصائيين كان من أهمهم انطوان جالان Antoine Galland ووظيفته الأولى مصحح فى دار الطباعة الفرنجية وله كتاب « Tableau de l'Egypte pendant le séjour de l'armée française » من جزأين وليس لهـذا الـكتاب قيمة تاريخيـة تميزه فقد امتـلأ باللغو والادعاء وخاصة حين يتصل الحديث بمؤلفه ، فقد منح

---

(١) ص ٥٥٩ ، ٥٦٠ ، ٥٦١ Belin, J, Asiatique

(٢) ص ٥٥٥ Belin J. Asiatique

(٣) وثيقة رقم ٢١١٣ ص ٤٠٢ جـ ٤ Corres. de N. 1er

نفسه كثيرا من الوظائف التى لم يؤدها ولم يكلف بها قط خلال الحملة الفرنسية فى مصر ، بل كانت صفته الرسمية مصححا للمطبوعات الفرنسية وان شغل جزءا من وقته ناشرا لبعض الشعر فى جريدة لوكوربيه دوجبت ، كما انه حاول أن يذيع قطعة أدبية فى مجلة لاديكاد غير أنها رفضت ، وزعم أن اهمالها لا يرجع الى ضعفها بل الى الحوادث الحربية التى كانت قائمة فى ذلك الوقت(١)

مارك أوريل Joseph-Emmanuel Marc Aurel

وضمت الحملة الى مطابعها الرسمية مطبعة أخرى لمواطن حر هو جوزيف عمانويل مارك أوريل وقد حير أوريل كثيرين من الفرنسيين الذين بحثوا شؤون الصحافة فى عهد الحملة حتى ظنه بعضهم مارسيل نفسه وأنه اتخذ اسم مارك أوريل تيمنا بالتاريخ الرومانى الذى تأثرت به الثورة الفرنسية والذى يحفظ بين ذكرياته اسم الامبراطور الرومانى Marc Aurèle ومبعث هذا الاضطراب الذى شغل المؤرخين منهم مرجعه أن تاريخ الحملة الفرنسية فى مصر عنى بكل صغيرة من التفاصيل وذكر كثيرا من الأسماء المتواضعة التى لا يؤثر اهمالها فى مجريات الحوادث

---

(١) ص ٦ ، ٧ Canivet " Bull. de l'Inst. 1909

بينما اسقط اسم مارك أوريل على ماله من أهمية فى الطباعة أثناء الحملة فى مصر .

ولد هذا الناشر الحر فى فالنس Valence فى سنة ١٧٧٥ وهو ابن بيير مارك أوريل ممن احترفوا الطباعة والنشر فى تلك المدينة ، وكانت تربطه ببو نابرت صداقة وطيدة مصدرها اختلاف بو نابرت الى مكتبته أثناء اقامته بفالنس بين سنتى ١٧٨٥و١٧٨٦ ، وقضائه فترة أخرى ضيفا على صاحبه فى سنة ١٧٩١ ، وكان بيير رجلا له شهرة ثقافية وذوق ممتاز فى فهم المسائل الأدبية . وفى سنة ١٧٩٣ أسس مارك أوريل الوالد جريدة « الحقيقة للشعب La Verité au peuple » تناصر اليعاقبة وتنادى بمبادئهم (١) وهى أول جريدة عرفتها مقاطعة اندروم Drôme

نشأ أوريل الابن هذه النشأة الصحفية ، ووصله أبوه بشؤون الطباعة والنشر حتى تهيأت له الظروف فعين فى حصار طولون سنة ١٧٩٣ ناشرا للجيش ولما يتجاوز بعد الثامنة عشر من عمره وفى السنة التالية الحق بمطبعة الجيش البحرى فى البحر الأبيض المتوسط واتخذ مكانه على الباخرة Sans - Culotte وقد استهوته

---

(١) ص ٩١٦ ج ٥ Nouveau Larousse Illustré

الحملة المصرية فمضى معها ناشرا لها ، وفى القاهرة أسس أول مطبعة مصرية (١) بينما لم يكن له أى نشاط يذكر فى مدينة الاسكندرية ذلك أن مطبعته كانت فى صناديقها معدة للسير مع الحملة فى طريقها الى العاصمة ، وقد نقلها صاحبها مع الجيش عن طريق الصحراء ، فلما استقر الفرنسيون فى القاهرة بدأ مارك أوريل عمله بأن نشر أمرا رسميا فى ١٥ اغسطس سنة ١٧٩٨ بينما بقيت المطبعة الرسمية فى الاسكندريه . وأخذت مطبعة مارك تطبع أوامر بونابرت ومنشوراته باللغة الفرنسية ، وكانت القيادة ترسلها الى الاسكندرية لتطبع باللغة العربية اذ أن مطبعة أوريل لم تكن بها حروف عربية على الاطلاق . وكان الى طبعه أوامر بونابرت ومنشوراته يقوم بنشر جريدتى لوكوريه Le Courrier de l'Egypte ولاديكاد La Décade Egyptienne وتعتبر هذه المطبعة الحرة أول مطبعة شهدتها مدينة القاهرة اذ كان الأهالى يجهلون هذه الصناعة جهلا تاما فعرفوها فى أغسطس وسبقتهم الاسكندرية فى هذه المعرفة بشهر وأيام .

وقد قام مارك أوريل بطبع ما طلب منه بنفسه ، وشهد

---

(١) ص ١٣٨ — ١٤٠ Charles - Roux

العلماء الذين صحبوا الحملة أمثال مونج وبرتوليه وفوربيه أول مطبوع أخرجته مطبعته فالتفوا حول صناديق الحروف متلهفين ، حتى اذا ظهر الأصل اختطفوه معجبين ، وقد اتخذ مارك أوريل لقب « طابع الحملة » وبقى معروفا بهذا اللقب حتى عودته الى فالنس (١) وكان من دأبه أن يطبع اسمه واسم مطبعته على كل ما ينشره من أوامر ونداءات وصحف .

بقى المترجم أمينا على الوفاء لنابليون ، مخلصا للعهد الجديد الذى أصبح فيه القائد العام امبراطورا للفرنسيين فاختير ضمن مندوبى مقاطعة الدروم فى حفلات التتويج سنة ١٨٠٤ ، ثم أسس جريدة غير رسمية سماها Le Journal de la Drôme حيث مضى مناصرا للحكومة الامبراطورية الى أن هوى حكم بونابرت وعادت الملكية القديمة فحرمته جميع المزايا التى كان يتمتع بها وأقفلت جريدته ، ثم أخذت الحوادث تتطور وتخلص الفرنسيون من حكم شارل العاشر ، وقامت فيهم حكومة أعدل وأقدر على فهم الثورة ومبادئها فاستطاع مارك أن يرشح نفسه لعضوية بلدية فالنس ثم تمكن بعدئذ من أن يكون نائبا للعمدة ، وفى سنة

---

(١) ص ١٤٢ ، ١٤٣ Geiss. Bull. de l'Inst. 1907

١٨٣٢ أسس جريدة بقيت تصــدر سنـوات عدة بعد وفاته فى سنة ١٨٣٢ (١)

أقلعت السفن تحمل الغزوة الفرنسية ، واقتضت سياسة الحملة العليـا أن تنقل مطـابعها الرسمية ورئيسها مارسيل على البـاخرة الشرق التى تحمل الجنرال بونابرت قائد الحمـلة العام وقـد بدأت مطبعة « الجيش البحرى » (٢) عملها فى الطريق فأذاعت منشور القـائد على جنوده فى ١٠ مسيدور سنـة ٦ جمهورية (٢٨ يونيو سنة ١٧٩٨) (٣) وأعدت المنشور العربى الى سكان مصـر الذى وزع عليهم عند وصول الحملة الى مدينة الاسكندرية فى ٢ يوليو (٤)

وفى ٧ يوليو سنة ١٧٩٨ أمر بونابرت قبل سفره الى القاهرة بأن يكلف أحد الضباط إنزال المطابع الفرنسية والعربية واليونانية من السفن وأن « توضع هذه المطابع فى منزل نائب قنصـل البندقية Venice فى حالة تسمح فى بحر ثمـان وأربعين ساعة بأن

---

(١) من مذكرة مطبوعة فى ارشيف الدروم عن اسرة اوريل .
Geiss. Bull. de l'Inst. 1907 P. 142, 143

(٢) هى نفس المطبعة الشرقية والفرنسية التى سميت فيما بعد المطبعة الاهلية

(٣) ص ١٥٤ جـ ٤ Keller. Corres. Bull. et Ordres . . . . .

(٤) مراسلات نابليون وثيقة رقم ٢٧٢٣ ص ١٩١ جـ ٤

يكون فى الامكان طبع كل ما يرسل من مركز القيـادة باللغتين الفرنسية والعربية » ونصت المادة الثانية من هذا الأمر على طبع « اربعمائة نداء باللغة العربية » (١) وبذلك تكون مطابع مارسيل قامت بواجبها يوم ٨ يوليو سنة ١٧٩٨ فى مدينة الاسكندرية وهى اول مطابع عرفتها هذه المدينة فى جميع العصور التى مرت بها .

رأى بونابرت أن مجهود مارك أوريل قاصر عن أن يحقق أغراضه فى اخراج الصحيفتين لوكوريه ولاديكاد على وجه يرضيه ويرضى علماء الحملة فقد كانتا مملوءتين خطأ مطبعيا اذ أنه — أى مارك أوريل — « لا يستطيع نشر لاديكاد فهو يطبعها طبعا قبيحا » (٢) لذلك أرسل القائد العام فى طلب المطبعة التى يشرف عليها مارسيل فى الاسكندرية فقد كانت هناك تقوم بنشر أوامر الجنرال كليبر ، والأوامر التى تصدر من القيادة العامة فى القاهرة باللغة العربية . وصدر ذلك الأمر فى خلال كتاب ارسله الجنرال بونابرت الى كليبر Kléber فى ٢٧ يوليو سنة ١٧٩٨ يطلب منه

---

(١) مراسلات نابليون وثيقة رقم ٢٧٨٤ ص ٢٢٨ ج ٤

(٢) « « « « ٣٦٧٢ « ١٦١ ج ٥

أن يرسل الى القاهرة « مطابعنا العربية والفرنسية » (١) ثم كتب فى اليوم نفسه الى برتييه Berthier يرجوه أن يصدر أمره « بأن ترسل حالا المطابع الفرنسية والعربية الى القاهرة » (٢) غير أن هذين الأمرين اللذين أصدرهما القائد العام لم ينفذا فورا وبقيت المطابع فى الاسكندرية شهرا آخر فكتب بونابرت الى الجنرال كليبر يذكر له « أن من الأشياء التى نحن فى أشد الحاجة إليها احدى المطبعتين العربيتين » (٣) ومضى على هذا الكتاب شهران آخران حتى استطاع مارسيل وعماله والحروف الفرنسية والعربية واليونانية أن تصل الى القاهرة عن طريق النيل فى شهر أكتوبر (٤) دون أن تصل معدات المطابع كاملة بحيث يمكنها بدأ العمل ، الأمر الذى أضطر بونابرت الى أن يكتب للجنرال منو فى ٢٤ نوفمبر سنة ١٧٩٨ يقول « انى أعلق أهمية كبرى على أن تؤدى

---

(١) مراسلات نابليون وثيقة رقم ٢٨٥٣ ص ٢٦٣ جـ ٤
(٢) » » » » ٢٨٦٤ » ٢٦٨ جـ ٤
(٣) » » » » ٣١١٣ » ٤٠٢ جـ ٤
(٤) شارل رو ص ١٤٤

المطابع الفرنسية والعربية عملها فى وقت قريب فأرجو أن تسلم المواطن جارو Garrau عشرين جملا فى الاسكندرية لتحمل من رشيد اربعين صندوقا لا تزال فى تلك المدينة» (١) على أن المطبعة الرسمية لم تستطع تأدية وظيفتها الا فى شهر يناير من سنة ١٧٩٩ وبقى جزء ضئيل منها فى الاسكندرية يقوم بطبع أوامر القيادة فيها ، واحتفظ لرئاسته بأحد العمال (٢)

ولما استقرت المطبعة الأهلية فى القاهرة رأى مارك أوريل أنه سيبقى معطلا عن العمل فعرض على الحكومة أن يبيعها آلات مطبعته ، فوافق بونابرت على شرائها وكلف ثلاثة بتثمينها أحدهم دجنت (٣) على أن يراعى مارك رعاية خاصة لسابق معرفته به وبأسرته فأقرت اللجنة شراءها وقررت ٤٥٠٠ فرنكا ثمنا لها (٤)

---

١ — مراسلات نابليون وثيقة رقم ٣٦٦٩ ص ١٦٠ جـ ٥

٢ — Annuaire de La République Française l'An 7. Le Caire, An 8

٣ — Desgenettes, Souvenir d'un médecin de l'expédit, d'Egypte, T, 3 P 17

٤ — ص ١٣ جـ ٤ . المصدر السابق

بيد أن إجراءات الصرف تعطلت فترة طويلة شغل خلالها القائد العام بأمور أهم كثيرا من رعاية خاطر أوريل الذى كان مشوقا إلى بلاده ، وقد اضطر الرجل إلى البقاء فى القاهرة وقتا غير قصير وهو يستأذن فى العودة ويتمنى على المسئولين منحه ثمن مطبعته وهو ثمن لا يكفله إلا بقاء بونابرت فى مصر . وفى خلال فترة الانتظار عين الجنرال كليبر قائدا عاما للحملة بعد عودة بونابرت إلى فرنسا ، وحدث ما توقعه مارك فأن كليبر لم يرتح إلى الثمن المعروض لشراء مطبعته وأصدر أمرا آخر خاصا بتثمينها من جديد ، فتقرر تخفيض ثمنها إلى ثلاثة آلاف فرنك (١)

(١) وثيقة رقم ٢١ ص ٢١ Kléber et Menou en Egypte

الفصل الثانى

أدوات النشر وعمل المطابع

أصبحت المطبعة الأهلية فى القاهرة ابتداء من ١٤ ينـاير سنة ١٧٩٩ المطبعة الوحيدة فى خدمة الحمـلة الفرنسية . وقـد أصـدر بونابرت أمرا بتنظيمها وتعيين المسئولين عن سيـاسة المطبوعات فيها (١) وكان هذا الأمر فى ٢٥ نيفوز سنة ٧ جمهورية (١٤ يناير سنة ١٧٩٩) وقد احتوى أمر التنظيم على ست مواد :—

المادة الأولى — يصب المواطن كونتيه فى أقصر وقت ممكن خمسة صناديق لحروف المطبعة العربية .

المادة الثانية — يضع الجنرال كافاريللى تحت أمر مدير المطبعة الاهلية خمسة من الصبيان يعرفون القراءة ليتعلموا حرفة صف الحروف .

المادة الثالثة — يهيء المواطن فانتير للمطبعة العربيـة خمسـة عمال أتراك ويربط مرتباتهم .

---

(١) ص ٢٠٦ جـ ٤ Keller. Bull. et Ordres.

المادة الرابعة — يدفع رئيس العمل جميع المصاريف التى قام بها مدير المطبعة .

المادة الخامسة — تكون ادارة المطبعة العربية خاضعة لتفتيش المواطن فانتير ولا يطبع شىء الا بأمره وفى كل يوم يحيطه المدير علما بما سيطبع كما يعرض عليه الشكاوى التى تقدم فى حق العمال .

المادة السادسة — توضع ادارة المطبعة الفرنسية تحت التفتيش المباشر للمواطن فوفليه بورين ولا يطبع شىء الا بأمره . وفى كل يوم يحيطه مدير المطبعة علما بما سيطبع كما يحيطه علما بالشكاوى التى تقدم ضد العمال .

ذكرنا أوامر بونابرت لنبين الى أى حد رسم لها طريق العمل فقد فرض عليها رقابة شديدة فى المادتين الخامسة والسادسة حتى لا تصدر عنها مطبوعات بغير علم القيادة العامة أو تذيع ما من شأنه أن يمس النظام أو يسىء الى الرأى العام الفرنسى أو المصرى لذلك كان هذا النظام الشديد أشبه ما يكون بما نعرفه اليوم من نظم المطبوعات فى حالات الحرب أو الثورات .

ويتبين لنا من خلال سطور هذا الأمر أن مارسيل كانت

وظيفته ادارية محضة لا صلة بينها وبين تقرير ما ينشر فى المطابع وأن مسئوليته الرسمية تنحصر فى الاشكال ، فى اخراج الصحيفتين ونشر الأوامر والقرارات دون أن يكون له حق الاضافة أو المحو والتغيير بل على مطابعه أن تخرج مطبوعاتها صحيحة خالية من الأخطاء فى ميعاد معلوم .

مراقبا المطبوعات

ورجع اختيار بونابرت لفانتير

Jean Michel de Venture de Paradis

مراقبا على المطبعة العربية الى أنه كان من القلائل الذين يعرفون شيئا عن مصر ، ولد فى ٧ مايو سنة ١٧٣٩ وأمضى نحو أربعين عاما متنقلا فى شمال افريقية فعمل مترجما فى القاهرة ومراكش وتونس والجزائر ثم عين سكرتيرا مترجما للملك فى اللغات الشرقية ثم رقى فيما بعد سكرتيرا أول للشئون الشرقية فى سفارة فرنسا بالقسطنطينية وقد رحل فانتير الى القاهرة قبل الغزوة بأعوام ثمانية حيث وثق علاقاته ببعض المشايخ والأقباط وكان شديد الاتصال ببعض بيوت المماليك ، ملما بتاريخها ، ثم عينه بونابرت كبيرا للتراجمة الحملة ومستشارا له ومرجعا فى المسائل الخاصة

بالشرق والشرقيين (١) وفى هذا يقول الجبرتى « أن فانتورة هذا ترجمان سارى عسكر وكان لبيبا متبحرا يعرف اللغات التركية والعربيـة والرومية والطليانى والفرنساوى » وقـد اشتغل الرجل فترة من الزمن مدرسا للتركية فى مدرسة اللغات الشرقية بباريس وكان بونابرت معجبا به اعجابا شديدا وقد اعتبره « رجلا خارقا للعادة » وهو ينعاه الى حكومة الأدارة (٢) .

أما فوفليـه بورين F. De Bourrienne فيرجع اختيـاره إلى ثقة القائد العام به ووضعه من نفسه كاتما لسره وسكرتيرا خاصا لشئونه فى غزوة مصـر وسوريا (٣) . ولـكن كليهما لم يستطـع الاشراف على ما كلف به من اشراف اذ أنهما سافرا مع بونابرت فى حملته على الشام وحل محلهما فى هذه الرقابة المواطن Poussielgue ابتداء من ٩ فبراير سنة ١٧٩٩ (٤) .

---

(١) ص ٣٠٨ ، ٣٠٩ جـ ٥ Hanotaux. Histoire de La Nation Egyptienne

(٢) مراسلات نابليون وثيقة رقم ٤٢٦٧ ص ٥٠٧ جـ ٤

(٣) راجع ما جاء من كلام نابليون فى صدر مذكرات بورين

(٤) مراسلات نابليون وثيقة رقم ٣٩٥١ ص ٣٠٩ جـ ٥

ومع هذا النظام الدقيق والاشراف المحكم الذى ضربه بونابرت على مطابعه فانها كثيرا ما أخلفت الميعاد فى اصدار الصحيفتين أو فى اخراج النداءات ونشر القرارات ذلك لأن مكان المطبعة لم يكن مستقرا بل كان يتبع نظام الحال فى كثير من الأحيان . وقد تولى اختيار مكانها برتوليه ومونج وكافاريللى بأمر من بونابرت (١) فاستقرت أول الأمر فى منزل حسن كاشف بالقرب من الادارة الرئيسية للجيش حيث كانت معظم دواوين الحكومة الفرنسية (٢) وما أن وضعت فترة من الزمان وشرعت تؤدى واجبها حتى تبين للمسئولين عن نظام المجمع العلمى أن المكان لا يتسع للمطبعة والمجمع معا فصدر الأمر بنقلها الى منزل عثمان أشقر بالقرب من القيادة العامة أيضا حتى اذا نظمت أمرها قامت ثورة القاهرة الثانية واعتدى الثائرون على المطبعة وحرقوا كثيرا من أوراقها ومن بينها العدد الثامن للعشرية المصرية وكان قد أعد للتوزيع (٣) وقتل فى هذه الثورة سكرتير

---

(١) مراسلات نابليون وثيقة رقم ٢٩٣٨ ص ٣٠٢ ج ٤

(٢) كانيفيه مجلة المجمع ١٩٠٩ ص ١٤

(٣) راجع نهاية المجلد الثانى من مجلة لاديكاد اجبسين

مارسيل فى ادارة المطبعة . واضطر الفرنسيون الى نقلها خلال تلك الثورة الى الجيزة حتى تهدأ الحال ويستتب النظام ثم أعادوها الى مكانها الأول بالمجمع العلمى بمنزل حسن كاشف . وفى العهد الأخير أيام عبد الله جاك منو نقلت الى القلعة وبقيت بها حتى عادت الحملة الى فرنسا .

أدوات النشر وعمل المطابع فى مصر

أدت المطابع فى مصر سواء مطبعة أوريل أو المطابع الرسمية رسالتها على أحسن وجه ، وكان التوفيق حليفها جميعا ، بيد أن هناك بعض الملاحظات على ورق الطبع وحروف المطابع ، تصدمنا فى الورق خشونته فى المطبعتين الرسمية والتجارية كأنما اختير للحملة أقل الأصناف جودة ، وقد رجعنا فى المكتبة الأهلية بباريس الى الصحف المعاصرة فاذا أكثرها يخرج فى ورق مماثل من حيث المادة للأوراق التى شغلت بها المطابع المصرية نشاطها ، وكانت حروف تلك الصحف المعاصرة على غرار ما عرفناه فى حروف مطابع مارسيل وأوريل إلا اختلافاً طفيفاً بين المؤسستين المصريتين ، ذلك أن المطبعة الأهلية كانت تعنون موضوعاتها وتشير اليها فى لاديكاد ولوكوريه خاصة

بحروف كبيرة مفصلة بينما كانت تخرج الجريدتان فى مطبعة أوريل فى حروف صغيرة مزدحمة ، أى أن حروف المطبعة الرسمية كانت أكثر جودة وملاءمة لفن الطباعة منها فى المطبعة التجارية ، على أن من الأمور الواضحة أن هناك ضعفا بينا فى طبع الصور والرسوم التى أخرجتها المطبعتان المصريتان وكذلك حرمت المطبعة العربية من الهمزات التى قلما كنا نعثر على احداها .

ومهما يكن من أمر هذه المآخذ التى ذكرنا طرفا منها فانها فى مجملها شديدة الشبه جدا بالمآخذ التى عرفت بها مطابع فرنسا فى ذلك الزمن ، على أن هاتين المؤسستين كانتا لدى المصريين شيئا غريبا على حياتهم ، وكان لها فى نفوس سراتهم التفات ظاهر سجلته جريدة لوكورييه فى عددها الصادر فى (٣ فبراير ١٨٠١) حيث قالت« من الأشياء التى اثارت دهشة وعجب سكان مصر منذ وصولنا الى بلدهم وكان لها تأثير عظيم عليهم ، وتعتبر شيئا جديدا كل الجدة بالقياس اليهم ، صناعة الطباعة . وقد زار المطبعة الأهلية عدة مرات فى العام الماضى كبار أعضاء الديوان ومن بينهم المشايخ المهدى والفيومى والصاوى وغيرهم ، وقد

تطلعوا بشغف معجبين الى العمليات المختلفة التى جربت أمامهم سواء باللغة الفرنسية أو باللغات الشرقية المتباينة .

« وقد دهش الشيخ محمد الفاسى الذى رأى مطبعة القسطنطينية ودهش كثير من السوريين الذين عرفوا هذه المؤسسة من السرعة والدقة التى يؤدى بهما العمال الفرنسيون عمليات الطبع » ثم تعقب الجريدة على ذلك بتوضيح الفروق التى شعر بها من رأى المؤسستين الشرقيتين ومؤسسة الفرنسيين فى مصر ، ثم تمضى ذاكرة زيارة الشيخ البكرى للمطبعة الأهلية من أيام قليلة وتذكر أسئلته الكثيرة عن الطباعة نفسها بعد أن أدهشه ما رآه كما أخذ يستوضح عن جهد فرنسا فى نشر هذه الصناعة فى أوروبا ، وأى البلاد فيها له الصدارة والتفوق ، وأخذ يتساءل فى شغف عن آثار الطباعة فى مدنية الشعوب ويعدد للمسئولين فى ادارة المطبعة كتبا عربية كثيرة لا يعرفها إلا القليلون ، وانه ليرجو انتشارها بين العامة والخاصة عن طريق المطبعة . وقد كان لهذه المطابع أثر آخر فهى التى خلفت صداقة عميقة وودا متصلا بين الشيخ المهدى ومارسيل مدير المطبعة الرسمية (١)

---

(١) شارل رو ص ١٥٢

ولم تكن وظيفة المطابع المصرية مقصورة على نشر القرارات والنداءات والصحيفتين بل كانت تطبع أحيانا كراسات عن أخبار أوروبا وتبيعها بقدر معلوم على ورق مصقول يفضل ورق الجريدتين نسبيا (١) كما كانت تطبع فى كل عام الدليل السنوى للجمهورية الفرنسية الذى يحرره جماعة من علماء المجمع العلمى ، ويتضمن هذا الدليل أخبارا عن مصر وفرنسا وبعض الموضوعات العلمية كمقارنة التاريخ الجمهورى بالتاريخ الهجرى ، وبعض فصول عن شخصيات مصرية ، وبحوثا عن الأسلوبين الفرنسى القديم والحديث . وكان يباع هذا الدليل فى المطبعة الأهلية بالقاهرة (٢) كما طبعت بعض الكتب باللغتين العربية والفرنسية ككتاب وصايا لقمان الحكيم فى مائة وعشرين صفحة لمارسيل ، وهو كتاب صغير ثمنه تسعون نصف فضة وطبعت له كذلك القواعد المصرية العامية واستعمالها باللغتين العربية

---

(١) راجع العدد ٣٤ ص ٤ من جريدة لوكوريه دولجبت

(٢) راجع العدد ٥١ ص ٤ من جريدة لوكوريه دولجبت

والفرنسية كما نشرت كتب دجنت كبير أطباء الحملة (١) ومن أهمها رسالته فى الجدرى ومكاتباته للديوان ، وطبعت أيضا الدستور الفرنسى لسنة ٨ جمهورية .

ومن مطبوعاتها أيضا حروف الهجاء العربية والتركية والفارسية طبعت بالمطبعة الشرقية والفرنسية بمدينة الاسكندرية سنة ٦ جمهورية فى ست عشرة صفحة من القطع الصغير وثمنها ١٦ نصف فضة (Médin) (٢) على ورق معتاد ، اما ثمنها على

---

(١) Nicolas-René Dufriche (Desgenettes) كان طبيبا من أطباء الجيش ولد فى النسون سنة ١٧٦٢ ومات بباريس سنة ١٨٣٧ ، خدم أول أمره فى جيش ايطاليا ثم عين كبيرا لأطباء الحملة المصرية ، وقد اكتسب احترام وتقدير الحملة جميعا ، وبعد عودة الجيش من مصر الى فرنسا عين مفتشا عاما لمصلحة الصحة ، وقد اختير بعدئذ كبيرا لأطباء الحملة الروسية ، وقبض عليه الروس ثم أطلقوا سراحه ، وقد بقى فى خدمة الامبراطورية النابليونية حتى موقعة واترلو ، وبعد رجعة ملكية البربون عين أستاذا فى كلية الطب بجامعة باريس سنة ١٨٢٢ ثم انتخب بعدئذ عضوا بأكاديمية العلوم .

راجع ص ٨٠٠ Larousse du XX e Siècle TII

(٢) Médin أو Médino هى أصغر عملة مصرية فى حجم العملة الفرنسية ذات الخمسة وعشرين سنتيما ولكنها أقل منها سمكا وطول نصف قطرها خمسة عشر ملليمترا ، وتزن ٧٣ درخمة أو ٢٢ر٧٦ جراما من الفضة . يحمل أحد جانبيها اسمها فقط او اسم السلطان ويحمل الجانب الآخر «ضرب فى مصر» والسنة التى ضربت فيها . راجع فى ذلك :—

Descrip. de l'Egyp. 2 édition T. 16, P. 320 et 422

وعملة « ميدان أو ميدينو تسمى ميدى أو مؤيدى ويذكرها الجبرتى بقوله (نصف فضة) راجع فى ذلك شفيق غربال — مصر عند مفترق الطرق — هامش ص ١٢ مجلة كلية الآداب مجلد ٤ ج ١ سنة ١٩٣٦ .

الورق الممتاز فكان أربعة وعشرين نصف فضة ، وكذلك كان للمطبعة الرسمية فى الاسكندرية نشاط آخر فقد أخرجت كراسة «تمارين للقراءة من الأدب العربى» وهى منتخبات من الآيات القرآنية نشرتها للذين يدرسون هذه اللغة وهى من تأليف مارسيل فى اثنتى عشر صفحة من القطع الصغير ، صدرت فى سنة ٦ جمهورية وثمنها اثنا عشر نصف فضة للورق المعتاد ، أما على الورق الممتازفكان ثمنها عشرين نصف فضة ، وللمطبعة الأهلية فى القاهرة غير ما ذكرنا مطبوعات أخرى من أهمها «مجموعة المستندات الخاصة باجراءات محاكمة سليمان الحلبى قاتل القائد العام كليبر» فى اللغات الفرنسية والعربية والتركية وقد ذكرها الجبرتى فى تاريخه «عجائب الآثار» (١) وما إلى ذلك من منشورات ادارية ومالية نجدها موزعة بين مكاتب باريس والقاهرة والمتحف البريطانى ووزارة الخارجية الفرنسية . وقد ذكر أحد المسئولين فى هذه المطابع أنها نشرت واحدا وعشرين مصنفا سواء فى مطبعة مارك أوريل أو فى المطابع الرسمية .

وكان من وظائف جريدة لوكوريه الاعلان عن الكتب

---

(١) راجع ج ٣ ص ١٢٢

والمؤلفات التى تصدر عن مطابع الحملة ، غير أنها أهملت تلك المؤلفات التى أخرجتها المطبعة الرسمية حين كانت فى مدينة الاسكندرية ، لذلك أصبح من المتعذر اعتماد التحديد الذى أصدره «أحد المسئولين» بأن المطابع الفرنسية أخرجت واحدا وعشرين مصنفا فحسب ، وخاصة أنه ثبت فيما بعد أن المطبعة الشرقية والفرنسية طبعت فى الاسكندرية « قانون العقوبات الخاص بجيوش الجمهورية فى وقت الحرب فى ثمان وسبعين صفحة» ولم يذكر « أحد المسئولين » شيئا عن طبع هذا القانون (١) كذلك أسقط هذا المسئول من حسابه الفرمانات والبلاغات التى كانت تذيعها المطبعة العربية للديوان والتى عثرنا على بعض منها فى المكتبة الأهلية ومكتبة مدرسة اللغات الشرقية بباريس مذكور عليها « طبع بمطبعة الفرنساوية العربية » .

على أن أفضل المطابع التى خدمت القائد العام من الناحية السياسية فى مصر هى مطبعته العربية . فبوساطتها أذاع على السكان بين الفينة والفينة تلك النداءات التى كانت تساعد من غير شك على توجيه الوطنيين توجيها خاصا ، فكان الفرنسيون اذا أرادوا

---

(١) شارل رو ص ١٥٣

أمرا هيأوا لمعرفة الناس به « نسخا من ذلك كثيرة أرسلوا منها الى الأعيان ولصقوا منها نسخا فى مفارق الطرق ورءوس العطف وأبواب المساجد » (١) كما أن بونابرت استطاع عن طريق هذه المطابع العربية أن يكاتب أمير الحج وزعماء العرب ليكفوا عن قتاله ويصلوه بالود والمعروف (٢) .

أدت المطبعة وظيفتها كما رأينا على أحسن ما تؤدى الوظائف وبقيت تقوم بعملها حتى ختام الحملة فى سنة ١٨٠١ وقد ذكر فيليب دى طرازى فى كتابه (تاريخ الصحافة العربية) أن المطبعة الرسمية للحملة بقيت فى القاهرة حتى اشتراها محمد على وحسنها وأضاف اليها بحيث أصبحت فيما بعد مطبعة بولاق (٣) .

وقد تأثر كثيرون ممن كتبوا عن الصحافة المصرية بهذا الرأى الذى يبدو قاطعا فى مظهره وأن لم يؤيده مؤرخ من الفرنجة الذين رجعنا فى بحثنا اليهم ، بل أن الوثائق التاريخية تقطع فى وضوح بأن مطبعة الحملة سواء الشرقية منها أو الفرنجية عادت الى باريس ، ففضلا عن أن الفرنسيين عنوا كل العناية بآثارهم فى

---

(١) الجبرتى — عجائب الآثار — جـ ٣ ص ٢٠

(٢) » » » ٣ » ٤٩

(٣) فيليب دى طرازى ـ تاريخ الصحافة العربية ـ ص ٤٩ طبعة سنة ١٩١٣

مصر واحتفظوا بها فى أوبتهم الى بلادهم فان موضـوع المطبعة بالذات ونقلها الى فرنسا كان من بين الأشياء التى اهتمت بها حكومة القنصل الأول ، فقد كتب برتييه Berthier وزير الحربية فى عهد القنصلية بناء على أمر نابليون الى الجنرال بليار Belliard فى ٢٢ فاندامير سنة ١٠ جمهورية بأن « . . . . جميع الآلات والمخطوطات العربية والمكتبة وحروف المطبعة العربية ترسل الى باريس وتوضع فى وزارة الداخلية التى سأكلفها تهيئة الظروف المناسبة لنقلها » وقد أعيدت فعلا بناء على هذا الأمر « الحروف العربيـة التى حملت من باريس وروما الى المطبعـة الأهليـة بباريس » (١) وقد بقيت مصر بضعة أعوام محرومة من المطابع حتى أسس محمد على مطبعة بولاق وغدت المطبعة الرسمية للحكومة المصرية فى عهدها الجديد .

---

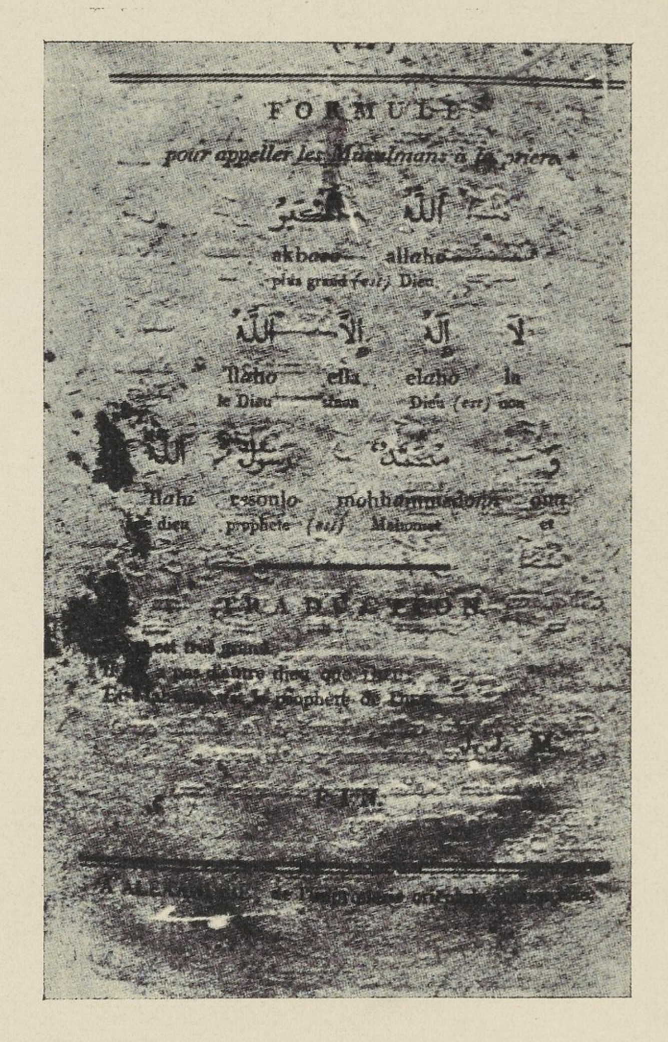
(١) كانيفية مجلة المجمع ١٩٠٩ ص ١٤ ، ١٥

الفصل الثالث

طرق الأذاعة والأخبار فى مصر

لم تكن الصحف على عهدنا بها ومعرفتنا لها شيئا نبت فى حياة الجماعات دون مقدمات ، كما أن حياة العالم الحديث ليست شيئا جديدا خالصا بل هى تطور لجيل سابق هو نتاج لأحداث أجيال وأجيال ، والصحافة الحديثة ملخص لحياة الأمة التى تصدر فيها ، سواء كان ذلك الملخص يتصل بالحكومات أو بالأفراد والجماعات ، فهى فى غايتها الأولى سجل لحوادث يومية أو أسبوعية أو ما إلى ذلك من أخبار محددة بزمن معروف ، والخبر فى ذاته يذاع فى أول أمره ثم ينقل ثم تتلقفه الصحف مدونة مسجلة ، وتعيده لتقرأه الجماعة الكبرى ، وبذلك أصبحت وظيفة الصحف الأولى نقل هذه الأخبار الى الرأى العام المحلى أو الخارجى فى نشاط متفاوت وبطرق شتى يتفنن لها الصحفيون المحدثون .

ونقل الأخبار أو تدوينها معروف من العصور القديمة حيث صاحبت الطرق الأخبارية الحياة المصرية منذ عهد الفراعنة الى دخول الفرنسيين فى مصر ، وقد تغيرت الأساليب الأخبارية



FORMULE

pour appeller les Musulmans à la priere.

الله أكبر

akbaro allaho

plus grand *(est)* Dieu

لا إله إلا الله

llaho ella elaho la

le Dieu sinon Dieu *(est)* non

و محمد رسول الله

llahi ressoulo mohhammadonn oua

[illegible] dieu prophete *(est)* Mahomet et

TRADUCTION.

[illegible] est tres grand

[illegible] pas d'autre dieu que Dieu;

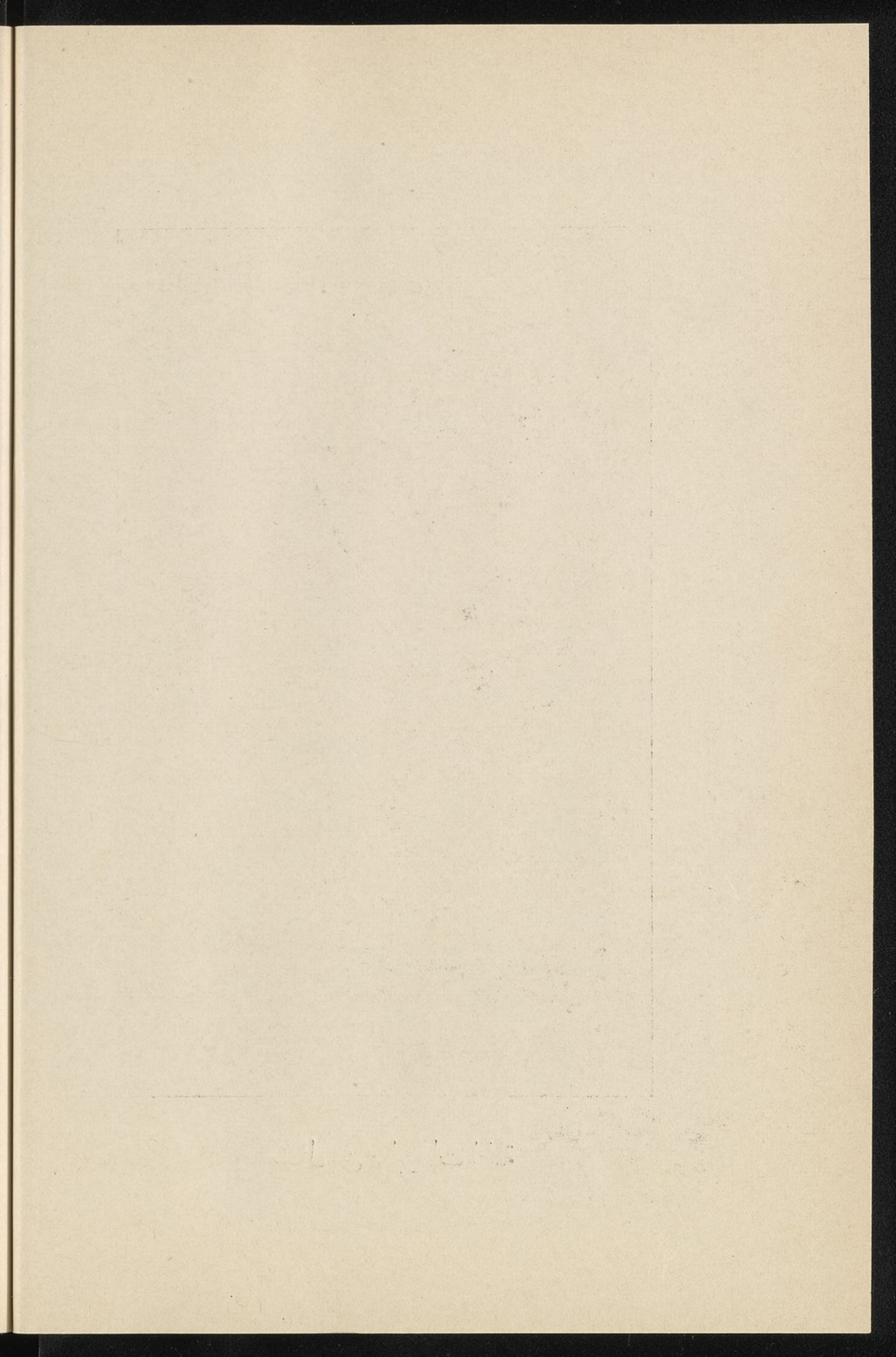
Et [illegible] le prophete de Dieu.

[illegible] J. M.

FIN.

A ALEXANDRIE, de l'Imprimerie orientale [illegible]

مثال من مطبوعات الحملة



فى هذه الأجيال المتعاقبة فى أشكال وصور مختلفة ، فاستعمل الفراعنة معابدهم وألواحهم وأحجارهم لتدوين حياتهم وشئون جماعاتهم وتصوير ظروف عصرهم بما فيه من النواحى التاريخية والحربية والسياسية والاجتماعية . وإذا كان هذا التسجيل يكاد يكون أمراً خاصا يبعد عن الطرق الأخبارية التى سنذكرها فأن الطريقة الأخبارية القديمة قد عرفت بوضوح حين عرف المصريون الكتابة ورأى ملوكهم فى تسجيل حوادثهم ونقشها على الحجر ضرورة تمليها ملابسات حياتهم الملكية ، بيد أن هذه الأخبار الملكية قد أصبحت فيما بعد أكثر عمومية إذ رأى الملوك أن يصلوا أمور الحياة المختلفة النواحى بشعوبهم فكان الأمير المصرى إذا أراد أن يعرف المصريين خبراً من الأخبار أمر بتدوين هذا الخبر على الأحجار بالخط الهيروغليفى ووضعه فى مكان معروف لتراه الجماهير ؛ ولما كانت المعابد المصرية فى ذلك الوقت حرما عنده المثوبة وفيه الرجاء ولها فى حياة الناس أثر وأى أثر وكانوا يقبلون عليها ، خفافا وتشغل من وجودهم قدراً كبيراً اختارت الحكومة إذاعة أخبارها عند مداخل تلك المعابد . وقد ذكرت إحدى الوثائق هذه الطريقة الأخبارية

بأمر لأحد ملوك مصر يقول فيه « يأمر الملك نفر - كى - رع Nefer - ke - re أن تنقش صورة من هذه الوثيقة على الحجر ، وتوضع فى مدخل معبد كوبتوس Koptos حتى يراها سكان تلك الناحية » (١) ومهما يكن من أمر هذه الطريقة الأخبارية فأنها تعتبر أول خطوة عرفتها مصر فى نظامها الأخبارى .

ثم مضت الحكومات المتتابعة على هذا النسج فأصبحت تدون جميع الحوادث والأخبار العامة على الأحجار والمقابر والمعابد لتعلن للناس ما خفى عليهم من سير الملوك وأخبارهم فى السلم والحرب ، واحتفظ بهذه الطريقة البطالسة والولاة الرومان وعمالهم فى الأقاليم المصرية ، فرأينا لائحة منقوشة على واجهة معبد «هيبيس» عند مدخله الخارجى تضمنت القانون الذى يجب أن يخضع له الحاكمون والرعية ضمانا لحسن سير العدالة ، وفسرت قواعد جباية أموال الدولة وأنذرت بالعقاب عن الجرائم المتفشية وأهمها الرشوة والبلاغ الكاذب ، كما بينت هذه اللائحة أنظمة التحقيق وطرائق البحث والفصل فى القضايا المدنية وقد نقشت هذه اللائحة باللغة الأغريقية فى ٦٦ سطرا ، كما نقشت

---

(١) ص ٧ Galal. Enstehung und Entwick der Tagespresse in Agypten

لوحات أخرى باللغة الاغريقية أيضا تضمنت بعض النصح والزجر من المحافظ الرومانى فى عصر تيبيوس كلوديوس قيصر روما إلى الأهالى وإلى جباة الأموال .

وقد جرت الحكومات المتأخرة فى مصر على أن تتصل بالرعايا المصريين وتصدر بين آن وآخر نشرات تبرر فيها نظامها وقواعد أحكامها (١) ثم تبين لها أن الخط الهيروغليفى وحده لا يكفى لنشر أخبارها ، كما وجدت مادة أخرى غير أحجار الجرانيت تنشر عليها حوادثها ، فرأينا الأوامر منشورة على الأحجار وورق البردى بلغات شتى كالخط الهيروغليفى والديموطيقى واليونانية ، وكانت الأخبار والأوامر تعلن على الجماهير لا عند مداخل المعابد فحسب بل فى أمكنة ظاهرة منها (٢) وقد تفرد ملوك البطالسة بأذاعة أوامرهم على ورق البردى (٣) واعتبرت هذه الطريقة خطوة جديدة فى وسائل الأخبار .

هذا بعض ما حدثتنا به الوثائق التاريخية ، على أن هناك من

---

(١) ص ٣٥٦ ج ١ Butcher the Story of the Church.

(٢) جلال ص ٨

(٣) ص ١٥١ Bevan. A History of Egypt Under Ptolemic Dynasty

الوسائل الأخبارية التى تلاحظها فى حياة الريف المصرى ما نرجعه الى الأيام الغابرة ، وقد لاحظنا بعضاً منها وسألنا عنه من سكان الريف كثيرين (١) لعلنا نعرف مصدره فأذا بهؤلاء جميعاً يجيبون بأن ما سألنا عنه قد توارثوه عن أجدادهم ؛ ولما كانت أعمال الحياض وجسور النيل أيام الفيضان تتصل اتصالا مباشراً بالمصريين من القدم ، فكل عمل متصل بالفيضان وطرق الأخبار عنه غير معروف مصدره فى الوثائق نرجعه نحن ترجيحا الى العصور المتقدمة ما دام هذا الأمر متوارثا جيلا بعد جيل ، (فأنفار العونة) المعروفين لنا كلما فاض النيل وما كانوا يسمون فيما بعد أنفار السخرة لم تكن وظيفتهم تتصل بكفاح النيل وتقوية جسوره فحسب بل كان منهم من تخصص فى تبليغ الجهات المسئولة الحالة ساعة بعد ساعة ، فهم وقوف على أبعاد متساوية ينبىء أحدهم بأمر ما فينقله زميله إلى زميل آخر ، ويعبر الخبر بهذه الطريقة أميالا كثيرة فى وقت قصير حتى يبلغ المختصين فيقوموا الى سد ثغرة أو تقوية جسر . هذا النظام الاخبارى الذى له من

---

(١) سمعنا هذا من سكان قرية العواسجة بههيا مديرية الشرقية

العمر أيام فى كل عام معروف لدى الفلاحين المصريين منذ قديم الزمان (١)

وتقلبت الحياة المصرية بعد ذلك فى أعطاف حكومات من العرب والترك والمماليك ، وأخذت الأساليب الأخبارية تتطور بعض الشىء بتطور الأزمنة ، فدخل فى مصر الدين الأسلامى ، وشيد العرب المساجد فاحتلت مكان المعابد المصرية القديمة ، وأخذ المؤذنون على أنفسهم غير الدعوة الدينية والقيام فى الناس مؤذنين الدعوة الى الجهاد أو الى الهدوء والاستقرار ، ثم مضت المساجد تحتل من قلوب المسلمين المصريين مكانة رفيعة ، فبعد أن كانت مآذنها تدعو الناس الى الصلاة ، وبعد أن كانت منابرها مقتصرة على الدعوة الى الدين والحياة فى حدود الله والعمل بشريعته ، أصبحت موضعا مهما من المواضع التى تعلن فيها الأخبار السياسية المتصلة بحياة المسلمين كلما جد فى حياتهم جديد يجتمع فيها الناس على هيئة جمعية عمومية للمسلمين أو تكاد ، قال

---

(١) يقول اللورد دوفرين سفير انجلترا فى الآستانة أن نظام أنفار العونة فى مصر نظام يرجع تاريخه الى ستة آلاف سنة ـ راجع « مذكراتى فى نصف قرن » ص ٢٣٢

الحافظ سبط بن الجوزى فى كتابه مرآة الزمان « خرج قيس بن سعد بن عبادة من عند على حتى دخل مصر فى سبعة نفر وصعد المنبر وقعد عليه وقرأ كتاب على على الناس » وأعقب ذلك قيام قيس وطلبه البيعة من الجماهير التى كانت بالمسجد فوافقوه على مبايعة على (١) . والفكرة فى كتاب على أنها شديدة الشبه بمرسوم ملكى يذاع على منبر المسجد وهكانه فى عهدنا الحديث الصحف السيارة ، فأخذ منبر المسجد على عاتقه أداء هذه الرسالة الصحفية وبقيت قراءة الاخبار من على المنابر الطريقة الوحيدة حتى عهد الأيوبيين ثم رأينا الحاكم فى عهدهم إذا أراد تنفيذ رغبة أمر بأعلانها وكتب « توقيعا قرىء على منابر مصر والقاهرة وسار البرد بذلك » (٢) أى أنه جد جديد على طريقة المنابر وزاد عليها الرسل ينقلون ما يقرأ على منابر القاهرة فى شتى الأقاليم .

ثم اتسعت الحياة المصرية وكبرت مدنها وتطرفت أحياؤها ولم يعد الجامع والمسجد كافيين للأذاعة بين المصريين ، مسلمين وغير مسلمين ، فاتخذ الولاة والامراء المنادين أداة للأعلان

---

(١) النجوم الزاهرة وأخبار مصر والقاهرة لتغرى بردى حـ ١ ص ١٠٩ ، ١١٠

(٢) الخطط التوفيقية حـ ١ ص ٢٩

فكانوا عدة صحفية لا بأس بها تلائم تلك العصور ، يطلقونهم لدعوة الناس الى خير أونهيهم عن منكر ، وقد حدث سنة ١١٠٧هـ بعد عودة أحد الوزراء من الشام الى مصر أن « رأى فيها الغلاء فأطلق المنادين بجمع الشحاذين » ووزع هؤلاء الشحاذون الذين لبوا نداءه على الاغنياء ليتكفلوا بهم طعاما ولباسا . ولما ختن ابنه ابراهيم بيك الكبير أطلق منادياً يذيع أن من كان عنده ولد فليأت به « فبلغ عدد الاولاد الذين ختنهم مع ولده ألفين وتسعمائة وثلاثين غلاما . . . . » (١) هذه الطريقة الاخبارية — طريقة المنادين — معروفة الى وقتنا هذا بالرغم من وجود الصحف وقيامها بأذاعة الاخبار فى الجماهير ، وهى معروفة بشكل واضح فى بعض قرى الارياف حيث يطلق المنادون فى القرية يذيعون أفراح الاسر وأخبار الوفيات كما يستطلعون المواطنين أحيانا أمر شاة ضائعة أو طفل تائه .

ثم أقبلت الحملة الفرنسية واعتمد بونابرت فى إذاعة أخبارها وأوامرها على الاهلين على الطرق القديمة وأضاف اليها جديداً لولا مطبعته لما استطاع اليه سبيلا ، فكان إذا أراد أمرا هيأ

---

(١) الخطط التوفيقية حـ ١ ص ٣

لمعرفة الناس به أوراقا مطبوعة « لصقوا منهـا نسخا فى مفـارق الطرق ورءوس العطف وأبواب المساجد » (١) وهذه الطريقة الحديثة تعتبر فى حياة مصر من الناحية الاخبارية نهاية عهد قديم وبداية عهـد جديد يرجع الفضل فيهـا الى بونابرت الذى مضى على سياسته المرسومة فى تهيئة الظروف الملائمة لفهم البلاد التى فتحها وتعريف مواطنيه عليها وإيجاد صلات بينه وبين الشعوب التى حكمها بأذاعة المنشورات وإصدار الصحف حتى زعموا أنه كان صحفيا بطبعه ، ومع أن هذا الرأى مبالغ فيه إلا أنه من المحقق أن نابليون كان يعجب أشد الاعجاب بالصحافة فى جميع مراحل حياته ، وكانت تستهويه قوتها ويبهره أثرها فى الحياة العامة ، وقد خدمته الصحافة فعلا ؛ فهى التى أشادت بذكر حروبه فى إيطاليا وهيأت له مجال الظهور فى فرنسا ، وقد استغلها فى أثناء حكمه قنصلا وامبراطورا . وكان يملى بنفسه أحيانا بعض الملاحظات على سكرتيره بورين لتنشر فى صحف باريس (٢) غير أنه فرض عليها رقابة قوية ليدفع عن نفسه شر معارضتها ثم

---

(١) الجبرتى . عجائب الآثار حـ ٣ ص ١٩

(٢) Weill Le Journal, Origines, Evolution et Rôle de la Presse Périodique ص ١٣٠

سمح لها بعدئذ بالظهور والانتشار وسط الجماهير على أن تكون اللسان اللاهج بذكره (١) وكانت أحب الصحف إليه ما ابتعد منها عن الجدل السياسى سواء كان له أو عليه وشغلت صفحاتها بالأخبار العادية ولفتت الرأى العام بنقاش أدبى أو اجتماعى ؛ وكانت هذه الصحف الأدبية أو الاجتماعية تحظى بقدر عظيم من عطفه ورعايته ، وكان يمنحها كثيرا من الحريات (٢)

ولما كان بونابرت فى إيطاليا يدافع جيوش النمسا ويقود جنود الجمهورية من نصر الى نصر لم ينس هذا السلاح الخطير فى كفاحه فأنشأ صحفاً فى إيطاليا وفى مالطه فيما بعد واستخدمها فى الدعاية له بين جنوده ومواطنيه (٣) أنشأ جريدة سماها « بريد الجيش Le Courrier de l'armée » وكان رئيس تحريرها المسئول المسيو جوليان ، وكانت مقالات الصحيفة المهمة يوعز بها بونابرت نفسه ، ثم أنشأ جريدة أخرى أطلق عليها اسم « فرنسا

---

(١) ص ١٢٩ Weill. Le Journal, Origines, Evolution et Rôle de la Presse Périodique

(٢) ص ١٣٤ Weill. Le Journal, Origines, Evolution et Rôle de la Presse Périodique

(٣) شارل رو ص ١٤٤

كما يراها جيش ايطاليا «La France vue de l'armée d'Italie» (١)

كان من النتائج المنطقية أن يفكر الجنرال بونابرت فى إصدار صحف فى البلاد المصرية فأنه لم يقدر حين كان فى إيطاليا أو مالطه أن ينأى به المطاف بعيدا وتطول به فرقة بلاده دهراً طويلا ، وكان يعلم فى غزوه لمصر أنه مقبل على بلاد لا يسهل فتحها فى اطمئنان وفى هدوء فأنه سيحارب يوماً ما الشعوب الأسلامية عندما تتأزم الأمور بينه وبين السلطان ، كما أنه من المقرر أن الحرب بينه وبين الأنجليز ستكون من أجل مصر نزالا لا تعرف نهايته ، وهذه تقديرات من شأنها أن تفرض عليه لونا من الاستقرار .

التفت القائد العام فأذا معه من الجنود أولئك الذين شهدوا الهزات الخطيرة التى خلقتها الثورة الفرنسية ولا يزالون يعيشون فيها ؛ كانوا فى فرنسا على علم بكل ما يدور حولهم غير أنهم فى مصر بعيدون عن بلادهم بعدا شاسعاً ، فى جو فيه من الوحشة ما يثقل بوجودهم ، هم فى منفى إذا قيست حياتهم بحياة زملائهم فى فرنسا أو فى خارجها ، فى حرب أو سلم ، فأن أبعد

(١) كانيفيه . مجلة المجمع ص ١٥

البلاد فى أوروبا عن فرنسا أقل مشقة من الأسكندرية إلى قنا ، لذلك كان من الطبعى أن يطب لهم بونابرت ويفكر فى أمر يسليهم ويروح عنهم ويقفهم على حياة بلادهم ويعرفهم شيئا عن الوسط الذى يعيشون فيه ، لذلك أصدر جريدة « لوكورييه دوليجبت »

ثم وجد أن معه من العلماء والأدباء والمهندسين والمفتنين وغيرهم عددا لا يستهان به ، فيهم كثير من العلماء أمثال مونج وبرتوليه ومن إليهما ، قادهم جميعا ليخلق بهم إدارة وحكومة ترفع الجهل عن أمة الفراعنة وتعيد إليها ترفها العقلى والمادى المعروفة به من قديم الزمان (١) هؤلاء جميعا لم يأت بهم الى مصر اعتباطا فقد كان بونابرت يعتمد عليهم اعتماده على فرق الجيش ، يريد أن يجعلهم فى بحوثهم وانتاجهم يشعرون بوجوده كمصلح عظيم ، ويقودهم الى جو من البحث العلمى المنتج كما يقود جنوده الى مواقع النصر ، ولما كان من آماله أن يتعرف الفرنسيون على مجهوده فى ساحة العلم وبروزه فيها كساحات الوغى قرر أن ينشىء صحيفة أدبية علميـــة ترسل الى فرنسا ليطلع علماؤها على ما ينشر فيها كما تصبح سجلا لبحوث العلماء ، وفى ذلك يقول

---

(١) ص ١٢٠ Bainville. Napoléon

جوفروا سـان هيلير فى رسـالته إلى كيفييه Cuviet عضو المجمع العلمى بفرنسا « إن المجمع العلمى المصرى فى نشاط مستمر وأنى أؤكد أن جلساتنا تعـادل على الأقل جلسات المجمع الفرنسى فى أعمالها وثمراتها ، وقد قررنا بناء على اقتراح زميلنا بونابرت أن نرسل إلى مجمعكم محاضر جلساتنا » (١)

وهـذه المحـاضر هى جريدة « لاديكاد اجبسين » تسبقـه إلى فرنسا لتعلن مع نصره الحربى نصرا علميا ؛ وقد أعد لأخراج هاتين الصحيفتين مصنعا خاصـا بالورق يمدهما ومطابعه بمـا تنشره من موضوعات وقرارات وأحكام (٢)

---

(١) الرافعى . تاريخ الحركة القومية جـ ١ ص ١٥٠

(٢) ص ٦٥ Bréhier. L'Egypte de 1798 — 1900

الفصل الرابع

جريدة لوكوربيه دوليجبت

لم تنشأ الصحافة فى مصر كما نشأت فى أوروبا ، ولم يعرف المصريون الخبر المطبوع كما رأينا إلا بعد نزول حملة بونابرت فى الأراضى المصرية ، ولم تكن سوق الأخبار المخطوطة أو المنسوخة نافقة على الصورة الواضحة التى عرفتها جمهورية البندقية أو الأمارات الألمانية والأيطالية وغيرها من بلاد أوروبا ، ولم يكن هناك رواة احترفوا إذاعة الأخبار فى الأسواق الكبيرة فى مواعيد معروفة ، ولم يتاجر المصريون بالأخبار واتخذوها حرفة وصناعة ، وإنما عرفت مصر الصحافة فجأة ولم تطل مقدماتها وساير نشاط الطباعة نشاط الصحافة عكس ما درجت عليه أوروبا التى سبقت طباعتها صحافتها لعدة أجيال .

وكان أهم ما أصدره بونابرت بعد الاستيلاء على القاهرة مباشرة جريدة بريد مصر Le Courrier de l'Egypte (١) ويبدأ العدد الأول بتاريخ (١٢ فريكتيدور سنة ٦ جمهورية) ٢٨ أغسطس

(١) شارل رو . ص ١٤٥

سنة ١٧٩٨ ، ويحمل العـدد الاخير منهـا تاريخ (٣٠ براايريال Prairial سنة ٩ جمهورية) يونيه ١٨٠١ ، وقـد صـدر منهـا بين التاريخين ستة عشر ومائة عدد فى حجم كتاب وسط ، طولها عشرون سنتيمترا وعرضها أربعة عشر سنتيمترا ، ضمت كل صفحة نهرين باللغة الفرنسية ، تحمل أخبار مصر الداخلية وهى الاخبار المحلية فى القاهرة والاقاليم ، وكان القصد من نشر هـذه الاخبار أن يعرف الفرنسيون فى القاهرة ما يجرى لدى زملائهم فى الاقاليم ، وفى ذلك يقول الجبرتى « لان القـوم كان لهم مزيد اعتناء بضبط الحوادث اليومية فى جميع دواوينهم وأما كن أحكامهم ثم يجمعون المتفرق فى ملخص يرفع فى سجلهم بعد أن يطبعوا منه نسخا عديدة يوزعونها فى جميع الجيش حتى لمن يكون منهم فى غير المصر من قرى الارياف فتجد أخبار الامس معلومة للجليل والحقير منهم » (١)

وكانت هذه الجريدة تنقل كثيرا من أخبار سوريا وفلسطين وأوروبا خاصـة مطولة أو مختصرة ، على أنها فى الحالتين منتخبـة

---

(١) الجبرتى . عجائب الآثار ج ٣ ص ٢٥٤

انتخابا ملحوظا ومنتقاة لغرض معين (١) وكان المسئولون يلاقون عناء شديدا فى الحصول على الصحف التى ينقلون عنها أخبار الخارج نظرا لوجود الاسطول الانجليزى رابضا فى المياه المصرية (٢)

وكانت الى الاخبار المحلية والخارجية تنشر الحوادث الرسمية وأخبار الجيش وتنقلاته وحروبه ثم لا تدع فرصة للترويح عن قرائها إلا واستغلتها فكانت تنشر كثيرا من أخبار الحفلات العامة مطولة. كذلك أخبار الحفلات الخاصة والتمثيلية وما إليها ولم تنس بين أخبارها حوادث الديوان وأعماله وأخبار الأعياد المصرية العامة وتعليمات الادارة وخطابات بونابرت لرؤساء جيشه التى توحى باتجاه خاص ككتابه الذى يندد فيه بكثرة ما يمنح للجنود من إجازات العودة الى فرنسا (٣) كما كانت تعنى بنشر تفاصيل زيارات بونابرت لعلماء المصريين ورجال دينهم كزيارته للسيد السادات فى مولد السيدة زينب بناء على موعد

---

(١) شارل رو . ص ١٤٥

(٢) كانيفيه . مجلة المجمع ١٩٠٩ ص ١٥ ، ١٦

(٣) جريدة لوكورييه دوليجبت عدد ٢١

سابق وتناوله العشاء هو وقواده فى المنظرة وألوان الطعام التى قدمت إليهم وأنواع الحلوى التى تشبه ما يقدم فى شهر رمضان والماء المسكر المعطر . ثم راحت تصف الجدل الذى دار بينه وبين السيد السادات عن القرآن ، وقد استغرق وصف هذه الزيارة صفحتين كاملتين (١) وكانت فى بعض الاحيان تذيع قليلا عن المجمع العلمى المصرى ولم تخل فى كثير من أعدادها من ذكر الحوادث ذات العبر أو بعض موضوعات تاريخية قصيرة .

هذا إلى المقالات الأدبية وأخبار الرحلات فى خلال الحملة وقبيلها إيجازا وتفصيلا ثم أخذت تنشر بعض الأشعار لجالالان و De Benaben وغيرهما . كما أن الاعلانات عاشت فى معظم أعدادها وهى إعلانات طريفة عن كتاب أو قهوة . وقد دأبت على نشر الأخبار التى تنقلها عن صحف الغرب مسبوقة بتعبيرات لم تكن معروفة كثيرا فى ذلك الوقت كقولها جاءنا من .... وكتب إلينا .... وكانت تظهر كل خمسة أيام وتباع فى الصباح بعد أن تطبع فى اليوم السابق فى الساعة الثالثة بعد الظهر (٢)

---

(١) جريدة لوكوريبه دوليجبت عدد ٢٢

(٢) » » » » ١٠١

COURIER DE L'EGYPTE.

N.° G. 49437 N.° I.er ~~Exem. 135~~

Le 12 Fructidor, VI.e année de la République.

NOUVELLES.

Corfou, 27 messidor an 6. Le vaisseau de guerre *le Stengel* est arrivé d'Ancône dans ce port, escortant un convoi de trois mille Français qui sont venus pour renforcer la garnison des îles Ioniennes.

La prise de Malte par la France a fait ici une joie universelle. Les départemens d'Ithaque, de Corcyre et de la mer Egée sont dans la situation la plus satisfaisante; il y règne le plus grand enthousiasme pour la liberté, et le plus grand attachement à la mère patrie.

De Jannina, le 15 messidor. Notre Pacha est toujours sous les murs de Widdin, commandant en second l'armée du grand seigneur sous le capitan-pacha, qui est destinée à faire la guerre à Passewan Oglou qui reprend toujours de nouvelles forces. Après le combat malheureux où notre armée a perdu 700 hommes, et a été obligée d'abandonner le champ de bataille, l'armée de ce rebelle s'est encore augmentée.

Il y a quelques jours, est arrivé ici l'adjudant général Rose, qui a eu une audience de cérémonie du fils du pacha, à l'issue de laquelle il a été expédié un courier sur un dromadaire, portant au pacha une dépêche extraordinaire.

Malte, 25 messid. La fête du 14 juillet s'est célébrée ici avec la plus grande pompe. Les bienfaits de la liberté se font sentir dans toutes les classes; il n'est pas un seul Maltais qui ne bénisse l'heureux changement qui a eu lieu.

Trois frégates anglaises bloquaient notre port. Le vaisseau de guerre *le Dego* et la frégate *la Carthaginoise* sont sortis pour leur donner chasse.

Le vice roi de Sicile avait refusé de nous donner des vivres; mais sur les instances de notre ambassadeur à Naples, il vient de permettre l'exportation de la Sicile. Au reste nous avons du bled pour la garnison et les habitans pour dix-huit mois.

Tripoli, 28 messidor. Le pacha de Tripoli, dès l'instant qu'il a eu reçu la demande du Général en Chef, de mettre en liberté tous les esclaves maltais (le Général en Chef lui avait envoyé une grande quantité de Tripolitains et autres esclaves turks) les a envoyés par un bâtiment à Malte, avec une grande quantité de bleds et de fruits, et quatre superbes chevaux de race dont il a fait présent au général commandant à Malte.

Alexandrie. La ville est encombrée de matelots et d'équipages de nos vaisseaux, provenant de l'escadre. Tous les prisonniers ont été rendus.



عين بونابرت بنفسه برسيفال جران ميزون Parceval de Grandmaison للأشراف على تحرير الجريدة وهو من الأدباء المعروفين فى الحملة غير أنه رفض هذه الوظيفة ، فأصدر القائد العام أمرا جديدا بتعيين المواطن فوريبه Fourier وهو ممن يشتغلون بالرياضيات بيد أنه كان فى رشيد ولم يعد إلا بعد أسبوعين من صدور الأمر بتعيينه ، وشغل مكانه خلال فترة غيابه المهندس كوستاز Costaz (١)

وقد صدر العدد الأول من لوكوربيه يعلن أن طابعها مارك أوريل وأنه صاحب امتياز بيعها مبينا ذلك فى قوله « يعلن المواطن مارك أوريل مواطنيه أن ثمن لوكوربيه ست ميدان (نصف فضة) وأن الاشتراك فى ثلاثين عدد مائة وخمسون نصف فضة ولن تعتمد الاشتراكات إلا إذا دفع ثمنها مقدما وأنه يرجو المواطنين فى الخارج الذين يرغبون فى الاشتراك أن يرسلوا خطاباتهم مصحوبة بها » ثم عقب على ذلك بأن مكان الجريدة فى حى الفرنسيين .

ويعتبر إعلان مارك أوريل الذى نشره فى لوكوربيه أول

---

(١) شارل رو ص ١٤٥

إعلان من نوعه فى مصر يشاهد فيه القارىء أسلوبا جديدا من الدعاية التجارية فى هذه البلاد (١) وقد لقى هذا الأعلان أذنا مصغية فأقبلت عليها الاشتراكات واشتدت رغبة المواطنين فيها

وتعتبر الأعداد الأولى جافة بالقياس إلى أعداد السنتين الثانية والثالثة من حياتها فقد خلت من الموضوعات الهامة، وقليلا ما عثرنا فيها على مقال ممتع أو خبر طريف، وكان تعليقها على الحوادث المصرية تعليقا فاترا، وقد ظهر أن الأخطاء المطبعية متناثرة خلال السطور حتى إن الطابع سها مرة فنشر تاريخ العدد الثالث (٢٠ فريمير وصحته ٢٠ فريكتيدور) كما أنها أسقطت حرفا من الحروف التى تكون اسمها (٢) وقد ضايقت هذه الأخطاء الجنرال بونابرت وكانت ضمن الأسباب التى دعته إلى طلب المطابع الرسمية من الأسكندرية، على أن كليبر كان أضيق صدرا بهذه الجريدة من رئيسه بونابرت؛ كتب إلى برتييه ردا على كتاب منه بأن «اخراج جريدتكم التى تصدر فى القاهرة لا يشجع مطلقا على جمع مشتركين كثيرين من الذين يتكلمون الفرنسية

(١) كانيفيه . مجلة المجمع ١٩٠٩ ص ١٥

(٢) راجع الأعداد الأربعة الأولى والعدد ٣١ الصادر فى ١٩ مسيدور ٧ جمهورية من جريدة لوكورييه فقد كتب اسمها Courier ينقصه حرف R الثانى

فاكتبوا فيها على الأقل لغة ! » (١)

على أن هذا الحكم القاسى الذى أصدره الجنرال كليبر لم يحرم الجريدة عطف الجماهير من المواطنين الذين كانوا يتلهفون عليها ويعتبرونها شيئا لا يقوم بثمن لما تحمله إليهم من أخبار فرنسا غير ما هنالك من جديد عليهم فى الأخبار الداخلية المصرية ، وقد ظهر أخيرا أن كليبر اعترف بقيمتها وضرورتها لأنه حين ولى أمر مصر عين لرئاسة تحريرها الدكتور دجنت ابتداء من العدد السابع والثلاثين الصادر فى (٢٩ فريكتيدور سنة ٧ للجمهورية) وكان المنتظر أن ينصرف عنها بل يقضى عليها (٢)

صدرت لوكورييه فى اربع صفحات بقطع رباعى (in quarto) متضمنة عدة أقسام أهمها القسم السياسى الذى كان يتغير كلما تغير الحال ، ففى السنة الأولى استغرق صفحات الجريدة مدح بونابرت ثم مدح كليبر من بعده ، وهكذا كان الحال مع عبد الله جاك منو

وقد اعتادت لوكورييه أن تبتدىء بخبر أو مقالة عن الخارج فتذكر — على سبيل المثال — استيلاء جنود الحملة على مالطة

---

(١) شارل رو ص ١٤٦

(٢) كانيفيه . مجلة المجمع ١٩٠٩ ص ١٥

وصداه فى فرنسا وأن سرور الفرنسيين بذلك فاق حد التصوير ثم تحمل فى شىء من السخرية على الانجليز ووزيرهم بت Pitt ثم تنتقل بعد الاخبار الخارجية الى الاخبار الداخلية فتذكر ازدحام الاسطول بالمياه المصرية وتصف المتاعب التى يلقاها رجاله لقلة عمق المياه . ثم تعقب على ذلك بأخبار القاهرة فتذكر وصفا شائقا لحفلة وفاء النيل فى أول (شهر فريكتيدور سنة ٦ جمهورية) الموافق ١٢١٣ هـ فتصف كيف بدأ الاحتفال فى الساعة السادسة صباحا بوجود بونابرت وضباطه العظام وكخيا الباشا والأغا ، وكيف أن الناس تجمعوا بكثرة وركبوا المراكب فرحين ، واشترك الجيش بأسطوله النهرى ، وعزفت الموسيقى الفرنسية والعربية أثناء مرور المهرجان ، ثم تصف فتح السد وتدفق المياه بشدة ، وتذكر أن الجنرال بونابرت ألقى على الجماهير فى تلك اللحظة كثيرا من النقود الفضية .

وكانت أهم الموضوعات التاريخية عندها ما كان متصلا بعصر فروت كثيرا من هذه النبذ التاريخية ، ومن ألطفها ترجمتها للكتابين المتبادلين بين عمرو بن العاص وعمر بن الخطاب ،

وكانت ترجمة الكتابين صحيحة لا مبالغة فيها ولا تحوير (١) ومن مقالاتها المهمة التى تلفت النظر حديثها فى العدد الثانى عن العلاقات بين أيرلنده وانجلتره، وروايتها لتاريخ الكفاح بين هذين البلدين وتصويرها له كفاحا صامتا لم يأخذ طريق العنف بعد، وقد طال تعليق الجريدة فى هذا الموضوع حتى استمر أربعة أعداد متواليات. على أن التطور الملحوظ فى الأسلوب والموضوع يبدأ من العدد الخامس والعشرين والأعداد التالية من هذه الجريدة، فقد أذاعت لوكوريه على قرائها إعلانا ضمنته أنها ستنشر من الان فصاعدا ما يفيد قراءها الاوروبيين، وأنها ستعطيهم فكرة صحيحة عن تقاليد وعادات الشعب الذى يصاحبونه فى كل يوم، وأكدت أنه لن ينشر موضوع ما سواء كان قصة أو تصويرا لحالة من الحالات إلا بعد دراسة مستوفاة ثم عقبت على ذلك بتقديم (ريجو) أحد أعضاء المجمع العلمى المصرى ليقص عليهم فى باب جديد اسمه «متفرقات» بعض ما عليه الجهلاء فى مصر، ليروح عن نفوسهم ويطلعهم على جديد لم يعرفوه من قبل، فروى للقراء أنه أراد أن يصور نوبيا فاذا

---

(١) جريدة لوكوريه عدد ٣٠

ما فرغ من رسم رأسه ونصفه الاعلى هرب الرجل صارخا بأنه قد أضاع رأسه وصدره عند ريجو !.... ثم ذكر أن مصريا آخر زاره فى حجرة التصوير فرأى رءوسا وأجساما مصورة نخف مسرعا إلى مواطنيه يعلن بينهم أن المصور يحتفظ فى بيته برءوس الناس وأجسامهم ! (١)

وقد احتل باب « متفرقات » مكانا رفيعا من الجريدة وفى نفوس القراء لان ما ينشر تحت هذا الباب كان ملفتا للنظر حقا كانت الجريدة تنشر فيه كثيرا عن عادات المصريين ، وتتحدث عن زواجهم واختيار ليلة الجمعة لعقد الزواج ، وتذكر شيئا عن الطلاق وتعدد الزوجات ومؤخر الصداق والعناية بالعرض والذود عنه وعقاب الزانية بألقائها فى النيل ، ثم تنتقل المتفرقات إلى إخلاص المصريين وسلامة طويتهم وتقديسهم للعيش والملح واعتبار القسم عليهما قسما مقدسا (٢) ثم يمضى هذا الباب فى رواية طرف من نظام الأخذ بالثأر بين الأسر والجماعات ، ويصور الكاتب فى مرات مشاهداته لمجالس القضاء وخاصة

---

١ — جريدة لوكوريبه عدد ٢٥

٢ — » » » ١١٦

محاكمة التركى الذى قتل ضابطا من رجال المدفعية الفرنسية وكيف قرر القاضى إعدامه بالسكين التى قتل بها ضحيته وبنفس الطريقة التى اتبعها مع فريسته (١) وإلى غير ذلك من دراسات اجتماعية لأحوال البلاد المصرية .

وكانت لوكوربيه دوليجبت تعنى فى بعض الاحيان بالشعر وتفسح صدرها للمقول منه والمنقول ، وقد رأينا ممن قال الشعر فيها بيريه Perrée وأهم قطعة له تصور أسدا وهرا وثعلبا تتنافس على حمل صغير (٢) وكذلك لجالان جولات شعرية لا بأس بها فى مدح بونابرت وتعظيم فرنسا وجيوشها ، يشوبها شىء من المبالغة التى مرجعها فيما نظن وظيفته فى دار الطباعة ، على أن معظم هذه القطع الشعرية لا تتجاوز سطورا عشرة ، وأطول من قال فى هذا الشهر شامبرو Chambreaud بعنوان « عند أهرام الجيزة » وتعتبر قطعته هذه من أطول القصائد التى نشرتها الجريدة أما المنقول من الشعر فكان يؤخذ عن مجلة « عطارد فرنسا Mercure de France » وهى مجلة يأتى بها البريد أحيانا .

---

١ — جريدة لوكوربيه عدد ١١٤
٢ — » » » ٧٤

والتفتت جريدة لوكوريه ابتداء من عامها الثانى إلى مسائل الرحلات التى قام بها بعض أعضاء البعثة الفرنسية وأمثالهم من الرحالة الفرنسيين كالرحلة التى قام بها أحد المحررين وشرح فيها طبيعة الارض بين قنا والقصير (١) وكالرحلة التى وضعها فولنى Volney وهى تلخيص لرحلته السابقة فى الشرق التى قام بها قبيل غزوة الفرنسيين لمصر بسنوات ، وقد استغرق وصفها أنهراً كثيرة فى عددين متتالين (٢) وقد رفع فولنى هذا الموضوع تحية منه للجيش الفرنسى المظفر فى إيطاليا وافريقية وآسيا وتكريما لقائده بونابرت عضو المجمع العلمى ، وقد أمضى فولنى هذا المقال ويعتبر إمضاؤه من الامضاءات النادرة التى عثرنا عليها فى أعداد الجريدة .

ولم تغفل لوكوريه تصوير بعض الشخصيات الشرقية التى لها صلة قريبة أو بعيدة بالفرنسيين فذكرت موجزا تاريخيا للجزار حاكم عكاء وولادته بالبوسنه وبقائه ببلاده حتى ارتكب جريمة سرقة ثم هروبه الى القسطنطينية وبيعه هناك بيع الرقيق وسفره

---

١ — جريدة لوكوريه عدد ٣٣

٢ — « « « ٣٣ ، ٣٤

مع مولاه الى مصر وتسميته فيها بالجزار ثم عودته الى القسطنطينية واخيرا استيطانه الشام وترقياته المضطردة التى بلغ فى نهايتها مرتبة حاكم عكاء (١)

وقد لوحظ أن عنايتها بحوادث الديوان وأخباره تفوق عنايتها بأخبار المجمع العلمى ، تنقل ملخصات لجلساته ونشاطه وتنشر خطاباته الموجهة للفرنسيين وأهمها رسالة انديوان الودية التى أرسلها الى نابليون لمناسبة تعيينه القنصل الأول (٢) كما كانت تترجم نداءاته وخاصة تلك التى لها صلة وثيقة بالدفاع عن الحكومة وحض الناس على طاعتها ، وإعاذتهم فيها بالله من الفتنة وطلبهم من الجماهير ألا تتبع الأشرار وأن تركن إلى الهدوء والاستقرار (٣)

ولم تنس لوكورييه أخبار فرنسا العلمية والأدبية بل عنيت بها فى كثير من فصول الجريدة ، كانت تذكر اجتماعات المجمع العلمى الفرنسى وطرفاً من بحوثه واهتمامه بالمجمع العلمى المصرى

---

١ — جريدة لوكورييه عدد ٢٠٦

٢ — » » » ٣١

٣ — » » » ٩١

وتقديره لأعضائه ، ومن أخبار ذلك أن مجمع فرنسا قرر السماح لأعضاء مجمع مصر بمشاهدة اجتماعاته بعد عودتهم إلى بلادهم كما ذكرت ألوانا كثيرة من الأخبار التى لها اتصال بفن النحت والتصوير ونشاط جمعية أنصار الفنون فى هذا الباب ، والجدل العنيف الدائر فى فرنسا بين أنصار الأسلوبين الفرنسيين الجديد والقديم (١)

وكانت إدارة الجريدة تنشر أخبار ما اعتزمته حكومة الحملة من تنظيم مصر والنهوض بها إلى مرتبة الحياة الأوروبية ، فذكرت فى العدد الرابع والسبعين أنها ستنشىء « تلغرافات » مماثلة لما هو معروف فى أوروبا أو كتلك الأخبار التى تتصل بأنشاء الادارات والمصالح (٢) . وخلاصة النظام الأخبارى أنه كان يقتضى نشر ثمانية أخبار خارجية ومثلها من الأخبار المحلية فى كل عدد تقريبا وفى وضع يكاد ينتظم الجريدة وصفحاتها جميعا .

ولم تفوت ذكر أخبار الوفيات الداخلية أو الخارجية المهمة ولم تقتصر أخبار الوفيات على فرنسا أو على مصر بل كانت تذيع

---

١ — جريدة لوكوريه عدد ٩٤

٢ — « « « ٢٥

نعى بعض العظماء فى أوروبا من رجال العلم والسياسة غير أننا نلاحظ أن أخبار الوفيات لم تنشر فى أعداد متفرقة بل كانت تنشرها الجريدة دفعة واحدة كلما اجتمعت لديها عدة أخبار منها (١) وكانت هذه الأخبار تستتبع أحيانا أن يرثى بعض الشعراء والأدباء أولئك الذين قضوا نحبهم فى مصر أو فى فرنسا كما رثى المواطن شامبرو الجنرال ديزيه Désaix (٢)

بقيت ناحية مهمة من نواحى نشاط لوكوريبه الصحفى ، تلك ناحية الأعلانات التى حفلت بها الصحيفة فى كل عدد تقريباً ، وإذا أسقطنا من تقديرنا الأعلان الصادر من ناشر الجريدة عن ثمنها واشتراكها ومكان طبعها نستطيع أن نقرر أن أول إعلان صدرت به لوكوريبه نشر فى العدد التاسع عن إدارة تكونت بسراى مرزوق بك بعابدين لتأجير المنازل للفرنسيين والمصريين ثم بدأت الأعلانات تترى على الجريدة فى شتى الموضوعات والأشياء ، وقد ازدحمت بها الصفحة الرابعة فهى مرة تعلن عن

---

(١) جريدة لوكوريبه عدد ٩٠

(٢) » » » ٨٩

فقد نقود ضربت باللغتين الفرنسية والعربيـة (١) ومرة أخرى تعلن عن صانع ساعات الجملة الذى أعد ساعات بديعة على آخر نسج عرفتـه باريس (٢) أو كذلك الاعلان الذى نشـره أحد التجار عن مصنعه الذى يقدم للجماهير الروائح العطرية والحاجيات التى ينشدها الاوروبيون (٣) أو أولئك الذين يعلنون «مواطنيهم بأنهم قد اتخذوا مكانا لبيع القبعـات خلف مكان البريد » (٤) وغير ذلك من الاعلانات عن بيع النبيذ والقهوة والروائح العطرية

وكثيرا ما نشرت الجريدة إعلانات تكاد تكون رسمية حكومية كأعلانها عن مجلة العشرية المصرية وثمنها ومكان طبعها وبيعها وكأعلانها عن بعض الكتب العلمية ككتاب رئيس الاطباء (دجنت) الخاص بعلاج الجدرى باللغتين العربية والفرنسية (٥) أو عن بيع الورق المصقول بمطبعة الحكومة بالحى الفرنسى .

وقد أفسحت جريدة لوكوريه صدرها للأعلانات التى تتصل

---

(١) جريدة لوكوريه العدد ١٣
(٢) » » » ١٩
(٣) » » » ١٦
(٤) » » » ٢٥
(٥) » » » ٢٨

بالحفلات الساهرة الراقصة وحفلات التمثيل وما إليها ، وكانت هذه الأعلانات كثيرة وخاصة السهرات الرسمية منها (١) على أن من أهم الأعلانات الملفتة للنظر اليانصيب الحكومى والدعوة له بين الوطنيين والفرنسيين (٢)

ويعترضنا سؤال قبل الفراغ من بحث هذه الجريدة ، هل كانت تصدق دائماً فى رواية أخبارها ؟ الواقع أنها كانت صدى للحكومة وبوقا من أبواقها لا تستطيع أن يكون مجالها حرا فى التحرير أو نقل الأخبار فقد وصفت إحدى احتفالات الجيش بالعيد الجمهورى فزعمت أن المرح بلغ حدا عظيما فى نفوس الجماهير والفرنسيين منهم خاصة ، ويشهد ماليس Malus أن هذا الاحتفال كان « بلاحماسة » وكذلك يقول Jallois — وهما من الشهود العيان — أن الهتاف للجمهورية كان فاتراً جداً لم يتحمس أحد إلا بعد خطبة بونابرت ، فأن الجنود قبل هذه الخطبة لم يسمع لهم هتاف ، ومع هذا فهى تزعم أن الاحتفال بالعيد الجمهورى بلغ حداً عظيما من البهجة والحماس (٣)

---

(١) جريدة لوكوريه العدد ٩٩
(٢) « « « ٢٥
(٣) هانوتو . تاريخ الأمة المصرية ج٥ ص ٣١٧ ، ٣١٨

الفصل الخامس

مجلة لاديكاد إجبسين

لما فرغ بونابرت من إصدار جريدة لوكورييه التفت إلى المجلة العلمية المسماة بالعشرية المصرية La Décade Egyptienne وهى صحيفته الثانية التى أنشأها فى مصر ، سميت باسم فترة من فترات الشهر التى عرفت عند اليونان فى أول الأمر (١) ثم عرفها الرومان من بعدهم (٢) واعتبرت فى العهدين ثلثا من الشهر فلما أقبلت الثورة الفرنسية تأثرت تأثرا عميقا بحياة اليونان والرومان فى معظم الأساليب السياسية والاجتماعية ، وأصبح تقليد هاتين الدولتين القديمتين قاعدة لأوضاع الحياة الفرنسية الرسمية فتقرر تغيير اسماء الشهور وتعديل دورة الزمن واصطناع تاريخ جديد يؤرخون به حوادثهم وأصدروا قرارا فى سنة ١٧٩٢ بأن يقسم الشهر إلى ثلاثة أقسام كل قسم منها يقال له العشرية تأخذ مكان الأسبوع من حياتهم الأولى (٣)

---

(١) ص ٦٩٧ ج ٢ Larousse du XXe Siècle

(٢) ص ٢٣٠ Dictionnaire étymologique de la langue française.

(٣) ص ٦٩٧ ج ٢ Larousse du XXe Siècle

كان بونابرت من صميم هذه الثورة التى غيرت كل شىء ، وكان من أشد الناس إعجابا بماضى اليونان والرومان ، وأخذ يتأثر مثلهما فى حياته السياسية جميعا ، فهو صاحب القنصلية وقنصلها الأول ، وهو صانع الامبراطورية فيما بعد وأمبراطورها الاعلى . ومع أن نابليون لم يكن مقترح اسم هذه المجلة إلا أن الحملة جميعا كانت مشغوفة بما شغف به رجلها ، فالاتجاهات الفكرية والالتفاتات الذهنية كان من شأنها فى ذلك الوقت أن تفرض هذا الاسم الغريب لصحيفة تصدر مرة كل عشرة أيام .

وقد تقرر أنشاء لاديكاد فى أول اجتماع للمجمع العلمى المصرى حيث اقترح المواطن كافاريللى Caffarelli (١) أن يطلق عليها « العشرية المصرية » لتكون لسان حال المجمع العلمى المصرى ، وأخذ الأعضاء يتناقشون فى اسم الصحيفة حتى تقرر أن يطلق

(١) كان كافاريللى من سلالة أسرة فرنسية نبيلة عرف المواقع الحربية مع كليبر خلال الحملة الايطالية وفقد احدى ساقيه فى موقعة حربية على الراين وقد سجن أربعة عشر شهرا فى عهد الأرهاب ثم عين عضوا فى المجمع العلمى المصرى فى حملة بونابرت ، وقد حاز رضى القائد العام فأناط به الاشراف على الادوات والكتب التى كانت الحملة فى حاجة اليها قبيل ابحارها من مارسيليا .
راجع فى ذلك Canivet. Rev. Insternationale d'Egypte 1906

عليها الاسم الذى اختاره كافاريللى (١) ولم يرض الاسم الجديد جميع الأعضاء بل حمل عليه بعضهم واعتبروه اسما مضحكا ، وكان على رأس هذه الحملة «دجنت» (٢) كبير الاطباء والذى كلف الاشراف على هذه المجلة وتبويبها وإخراجها على أنه لم يستطع أن يقوم بهذا التكليف لسفره فى حملة سوريا فاختير مكانه فوربيه (٣) .

سبق إخراج لاديكاد إعلان عنها فى جريدة «لوكورييه» (٤) مضمونه أن لاديكاد جريدة ستظهر مرة واحدة كل عشرة أيام ، وأنها ستتخصص للمسائل الأدبية فحسب ، وان يسمح بنشر أى خبر فيها أو مناقشة سياسية ، وستعنى فقط بكل ما له صلة بالنواحى العلمية والفنية والأدبية ، وستبحث فى هذه الأمور على ضوء ما يقدم إليها من تقارير عامة أو خاصة ، وستراعى رعاية تامة فى بحوثها موضوعات التشريع المدنى والجنائى كما ستلتفت الى

---

١ ـ شارل رو ص ١٤٩

٢ ـ دجنت ص ٤٦

٣ ـ شارل رو ص ١٥٠

٤ ـ راجع لوكورييه عدد ٣٥

LA DECADE EGYPTIENNE,

JOURNAL LITTÉRAIRE ET D'ÉCONOMIE POLITIQUE.

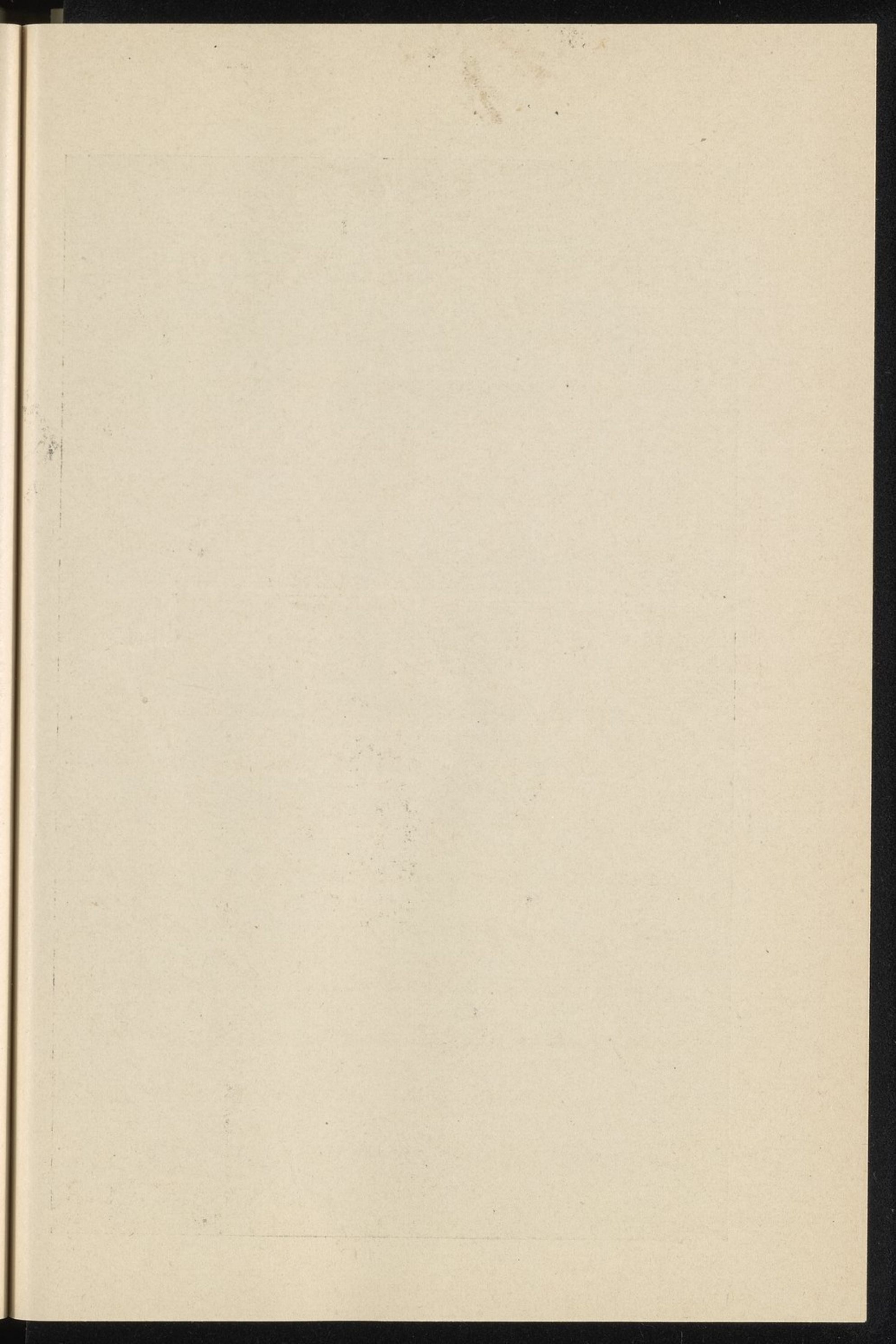
FORMATION de l'Institut d'Egypte.

LE Général en Chef BONAPARTE, par un arrêté en date du 3 fructidor an 6, a ordonné qu'il serait établi au Kaire un Institut pour les Sciences et les Arts. Cet établissement doit principalement s'occuper :

1.° Du progrès et de la propagation des lumières en Egypte ;

2.° De la recherche, de l'étude et de la publication des faits naturels, industriels et historiques de l'Égypte.

L'Institut d'Égypte est divisé en quatre sections qui sont celles de Mathématiques, de Physique, de Littérature et beaux Arts, et d'Économie politique. Chaque section est composée de douze membres. Dans le moment actuel, celle de Mathématiques est la seule qui soit complette. Il y a deux places vacantes dans celle de Physique, six dans celle d'Économie politique, et quatre dans celle de Littérature et beaux Arts.



الأوضاع الفكرية والاتجاهات الدينية ، وأن من أغراضها الأولى أن تقدم هذه المعرفة لفرنسا وأوروبا معا ثم أخذ الأعلان يصف الصحيفة شكلا بعد أن وصفها موضوعا .

وجاء فى لاديكاد فى أول عدد إعلان شبيه بالأعلان السابق فيه إضافات أهمها أن هذه المجلة « ستظهر مرة كل عشرة أيام وسيكون كل عدد مكونا من أربع صفحات بقطع الربع والاشتراك فيها قيمته تسعة فرنكات لكل مجلد أو لتسعة أعداد فى ثلاثة أشهر . وكل عدد يباع على حدة يدفع ثمنه فرنكا أو ثمانية وعشرين نصف فضة ، وفيما يختص بالاشتراك تكون المخابرة موجهة الى مدير المطبعة الأهلية بالقاهرة بميدان الازبكية »

صدر العدد الأول من العشرية المصرية فى أول أكتوبر سنة ١٧٩٨ (فانديمير سنة ٧ جمهورية) بمقدمة طويلة حررها المواطن تاليان Talien ، قال « أكثر حكم الحرية فى فرنسا من عدد الجرائد الدورية ولفتت الحوادث الشاذة ومناقشة المسائل الكبرى والمشكلات الخطيرة أوروبا جميعا لا فرنسا وحدها . وأصبح كل فرد يريد أن يعرف حتى التفاصيل الصغيرة لهذه الثورة العجيبة التى غيرت معالم الأمبراطورية الفرنسية ، وقد أقبل الناس

بشغف على قراءة الصحف فى أول الأمر ثم أرادت الطوائف والأحزاب أن تسيطر على الجماهير بالسيطرة على هذه الصحف فأذا هذه الجرائد الحزبية صدى للقذف وأصبحت بعد ذلك ميدانا تقاطع فيه كل فرد بالخصومة فى شدة وعنف .

« وفى وسط تصادم النوازع والأهواء ، وهذا الانقلاب وهذا النسيان الذى يكاد يكون عاما لكل الأفكار الحرة والمتزنة أهملت العلوم والفنون طويلا ثم شعر الناس أخيرا بضرورة التخلص من هذه الحال وابتدأت بعض الشخصيات الممتازة بعلمها وحبها للآداب تعمل على اعطاء الفلسفة المكانة التى ينبغى ألا نفقدها ، وعلى إثر هؤلاء المواطنين الشجعان يجب أن نسير »

ثم يتحدث الكاتب عن علماء الحملة وغزو مصر وأن الفتح لم يعد هدما وتقويضا ورغبة ملحة فى الذهب والحصول عليه ثم يعقب على مجلة لاديكاد « والصحيفة التى نعمل على إصدارها ستكون أدبية خالصة ولن يكون لأى خبر أو أية مناقشة سياسية مجال فيها . أما الموضوعات التى تتعلق بالعلوم والفنون والتجارة فى نواحيها العامة والخاصة ، والتشريع المدنى والجنائى والنظم الأدبية أو المدنية فستجد صدراً رحباً لدى الصحيفة »

ثم يمضى الكاتب مبينا النقص الذى احتوت عليه كتب السابقين إذ « لم يجب الرحالة إلا على شواطىء النيل وبعض الاقاليم المجاورة ، وقد لقوا صعوبات جمة فى رحلتهم مصدرها تطير الاهالى وقلة ثقتهم واختلاف اللغة والقلق الذى يسببه وجود الأجانب فى نفوس الحكام المستبدين الذين يلون أمر هذه الاقاليم ، أما اليوم وقد أصبحنا مسيطرين على مصر جميعا فمن السهل علينا أن نبحث العادات وأن نتعرف فى شىء كثير من العمق على طبيعة المناخ ونوع المنتجات الاقليمية وحالة الزراعة كما هى الآن والتحسينات التى يمكن أن نقضى فيها بأمر ما ، ونستطيع فى ثقة واطمئنان أن نزور الآثار القديمة وأن نرقب فى شىء من العناية عجائب وخصائص الطبيعة وعلى هذا النهج ستصحح الأخطاء الناشئة عن الجهل (يقصد جهل الرحالة) والمبالغات الناتجة عن التحمس (تحمس الكتاب السابقين)

« وإلى هذه المباحثات ذات الصبغة العامة سنضيف ما يعنى الأفراد معرفته فيما يختص بحفظ نوعهم ، ومن هذه الأشياء ستكون الملاحظات الواضحة المرتبة والدقيقة عن الحرارة وطبيعة الأمراض المختلفة التى تشترك فيها كل الأجواء ،

وسيضاف إلى هذه الأبحاث النافعة معلومات عن الوسائل التى يمكن الحصول عليها للتخلص من هذه الأمراض ، وعلى هذا النحو ستعالج الحالة العامة لكل شخص تظهر عليه عوارضها وفى نفس الوقت ستستخدم كل ما تقدمه الفنون من مساعدة لشفائه

« وسيكون لكل شخص الحق فى أن ينشر فى هذه الجريدة كل ما هو نافع فى ميدان العلوم ، فأن بعض الظواهر وبعض الآثار وبعض غرائب الطبيعة من الممكن أن تكون قد غابت عن التفات أبرع الملاحظين . ومن المناقشة واختلاف الرأى تنتج دائما الحقيقة ، وهذا ما نبحث عنه ، وكل ما هو غريب عن الموضوعات الممتعة سيصرف النظر عنه حتما ، فهى (يقصد لاديكاد) قاعة حبية للمحاضرات وليست ميدانا للخصومة بين المواطنين ، فالفنون الجميلة صديقة للحرية بيد أنها عدوة للأباحية »

تعتبر هذه الافتتاحية برنامجا مفصلا ستنهج عليه لاديكاد اجبسين فى سياستها ، ويلاحظ أن أظهر ما فى هذا البيان السالف الذكر أنه حدد تحديدا صريحا كل ما سينشر فيها من موضوعات وخاصة ما اتصل منها بالمسائل السياسية فقد كان الكاتب صريحا فى هذه الناحية غير أنه واضح من خلال السطور أن العناية

بالعلوم والفنون ستستغرق صفحات المجلة جميعا .

صدر العدد الأول بهذه المقدمة كما رأينا وقام بطبعه المواطن مارك أوريل فى مطبعته الخاصة كما جاء ذلك فى إعلان جريدة لوكوريه (١) وقد ذكر شارل رو فى كتابه « بونابرت حاكم مصر » أن مارك أوريل أصدر ثلاثة أعداد فقط من لاديكاد وأنه ابتداء من ٢٤ نوفمبر سنة ١٧٩٨ أصدرت المطبعة الأهلية العدد الرابع والأعداد التالية (٢) واتفق معه فى هذا الاتجاه كانيفيه فى مجلة المجمع العلمى المصرى .

ونحن نجيز هذا الرأى لو ان الكاتبين بينا لنا فى وضوح وفى جزم أن العدد الرابع والأعداد التالية من العشرية المصرية طبعت بالأسكندرية حينما كانت هناك المطابع الرسمية قبيل انتقالها الى القاهرة لأن بونابرت لم يكن مرتاحا لنشر الصحيفتين فى مطابع أوريل لكثرة الأخطاء المطبعية وسقم حروفها ، ولكنهما لم يشيرا إلى أنها طبعت ابتداء من العدد الرابع فى الأسكندرية ونحن نعلم أن المطابع الرسمية انتقلت الى القاهرة فى أوائل شهر

---

(١) جريدة لوكوريه عدد ٣٥

(٢) شارل رو ص ١٥١

يناير سنة ١٧٩٩ وأنها استعدت للعمل فى اليوم الذى صـدر فيه تنظيم ادارة المطبوعات وأنها فى القاهرة وحدها كان يطلق عليها اسم « المطبعة الأهلية » وظاهر أن مجلة لاديكاد صدرت فى أول اكتوبر سنة ١٧٩٨ وأنها بين الفترة الأولى من صدورها واستعداد المطبعة الرسمية للعمل فى القاهرة فى منتصف شهر يناير سنة ١٧٩٩ كان قد صدر منها عدة أعداد تتجاوز الأعداد المذكورة فى المرجعين السابقين ، ومعنى هذا أن مارك أوريل قد طبع من مجلة العشرية أكثر من ثلاثة أعداد أو أنه لم يطبع أكثر من هـذه الاعداد الثلاثة وتولت (المطبعة الشرقية والفرنسية) طبعها فى مدينة الاسكندرية لا فى مدينة القاهرة كما يزعم الكاتبان المذكوران

نعود الى منـاقشة الافتتـاحية والموضوعات التى نشرت فى المجلة ونطبقها على ما جاء فى مقالة تاليان فيتبين لنا أن المجلة لم تفسح صدرها لاى موضوع غير ماقدمه لها أعضاء المجمع المصرى وأصبحت لا تجد بحوث غير هؤلاء الاعضاء مجالا فيها ، ويرجع ذلك الى سببين أولهما أن المجمع كان قادرا على تغذية المجلة بكل ما تريد ، كما أن مدير الجريدة أو القائم بتحريرها لم يكن يستطيع مراجعة ما يقدم إليها من موضوعات خارجيـة وهو مزدحم فى

الوقت نفسه بآلاف المسائل الأخرى (١)

وظهر بعد مراجعتها أن موضوعات العلماء وبحوثهم التى نشرتها لم تكن نصوصا حرفية لما صدر عنهم فى أثناء بحوثهم ودراساتهم بل هى ملخصات قصيرة لما نشره أو أذاعه علماء الحملة فى مجمعهم العلمى ؛ وبذلك أخلت المجلة بما وعدت فى افتتاحيتها وانقبض صدرها عن أن يحتمل موضوعا خارجيا وضاقت صفحاتها لنشر موضوع مفصل ، ومضت على هذا الغرار تنكمش رويداً رويداً حتى أصبحت سجلا للملخصات يرسلها المجمع العلمى المصرى ثم مضت تصدر فى كل شهر مرة ابتداء من (٣ فريكتيدور سنة ٦ جمهورية إلى ٢١ فريكتيدور سنة ٨ جمهورية)

أهدى المجلد الأول للجنرال بونابرت واحتوى فى بعض أعداده على قليل من الاخبار التى تتصل بتأليف المجمع العلمى وكثير من الموضوعات المختصرة لما نشره أو بحثه أو ألقاه أعضاء المجمع كالموضوع الذى تقدم به أحد العلماء عن دراسة الطريق بين القاهرة والصالحية كما نشرت تقريرا مفصلا بعض الشىء عن

---

(١) شارل رو ص ١٥١

الواحات المصرية قدمه المواطن « فوريبه » (١) وأذاعت مذكرة أخرى عن بحيرة المنزلة للمواطن اندروسى Andreossy (٢) استغرقت كثيرا من صفحات المجلة ، ونشر هذا المجلد كثيرا من البحوث الممتعة حقا عن الجياد العربية وأصلها وكالمناقشة التى دارت حول الآثار المصرية ودراسة المشاريع المختلفة كأنشاء مدرسة للرسم فى القاهرة وأدارة للمسائل الزراعية وصناعة القطن والتيل .

ولوحظ فى هذا المجلد أنه حين ينشر بحثا ما يتصل بأسماء الاماكن (٣) والاشياء (٤) نجد هذه الاماكن والاشياء مكتوبة باللغتين العربية والفرنسية ، ولقد كان للترجمة فى هذا المجلد شأن لا بأس به إذ ترجم مارسيل فاتحة القرآن (٥) نشرها باللغة العربية ونقلها الى اللغة الفرنسية نقلا لا بأس به يدل على فهم لهذه اللغة

---

(١) مجلة العشرية المصرية مجلد ١ ص ١٥٠

(٢) « « « « ١ « ١٨٢ ، ١٩٧

(٣) « « « « ١ « ٢٧٦

(٤) « « « « ١ « ٣٦١

(٥) « « « « ١ « ١٢٧

قطعت الافتتاحية عهدا صريحا بالابتعاد عن السياسة وموضوعاتها على أنها أخلت بوعدها هذا فنشرت لنقولا الترك بن يوسف اسطنبولى شعرا سخيفا ركيكا عن الغزوة الفرنسية وجيشها وقائده ننقل بعضه هنا لنرى الى أى حد شغلت صفحاتها بالسياسة وإن كانت شعرا وقد نشر هذا الشعر باللغتين العربية والفرنسية : —

لله عصر قد زها فلك السعادة فيه دار
وجمال كوكب دولة ال جيش الفرنساوى أنار
يا حسنها من دولة بالافتخار لها اشتهار
الشهم بونابرته أسد الوغا ذو الاقتدار
مولى شديد البطش من عاداه حل به الدمار
صف الصفوف بحكمة وفنون حرب واختبار

ثم يعقب الشاعر على ذلك بوصف مفصل لاحتلال الاسكندرية وغيرها من بلدان مصر منه :

وملأ الاراضى عسكرا حول الكنانة واستدار
وسطا بشدة عزمه على جيوش الغزغار

وبذلك خرجت عن قاعدتها فى إغفال الموضوعات الخارجية بيد أن هذا الموضوع الذى نحن بصدده لا يتفق مطلقا مع ما كانت تنشره من بحوث قيمة حقا ، وسواء قررنا هنا أن قصيدة نقولا فيها من السياسة أو من الشعر شيء فهى على أية حال تعتبر الموضوع الوحيد المنشور فى المجلة بعيدا عن أصحابها الذين لم يشاركهم فى تحريرها أحد من الخارج .

ثم قدم المجلد الثانى اهداء للجنرال كليبر باعتباره قائدا عاما للجيش الفرنسى فى مصر وحملت الصفحة الأولى البيان الآتى « إن هذه الصحيفة التى كان فى نية الناشرين أن يعطوها اسما آخر غير « العشرية » لو أنهم كانوا اصحاب الرأى فى هذا لن تظهر من الآن فصاعدا إلا مرة واحدة فى الشهر » .

ويكاد يكون هذا المجلد صورة ناطقة للمجلد الأول فى الشكل والموضوع إلا أن العدد الثانى منه تخصص لنشر أخبار الأجواء المناخية (١) والملاحظ على موضوعات هذا المجلد أن ما نشر فيه من بحوث كان يتجه اتجاها عمليا ، وقامت موضوعاته

---

(١) مجلة العشرية المصرية ج ٣ ص ٢٠٩ — ٢٢٥

على دراسات شخصية استغرقت وقتا من الزمن فى البحث والتنقيب عكس ما كان عليه المجلد الأول حيث عنوا بالموضوعات عناية نظرية بحته ، فنجد هنا دراسات مطولة بعض الشىء عن الصحة والزراعة وتخطيط المدن كمدينة القاهرة كما اهتموا بمدن الوجه البحرى التى قدم عنها تقريرا نويه Nouet ثم رأينا باللغة العربية فصولا هنا وهناك كأمثال لقمان الحكيم وترجمتها بقلم مارسيل ، وقد شغلت هذه الترجمة تسع صفحات من هذا المجلد ، وقد شرح المترجم أهمية حكم لقمان لدى الشرقيين وتقديرهم لها بعد أن ذكره الله فى القرآن قائلا « ولقد آتينا لقمان الحكمة » ثم « وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه . يا بنى لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم » ثم أخذ الكاتب يعلق على هاتين الآيتين (١)

ويعتبر المحصول الذى تقدم به المجلد الثانى محصولا قليلا بالقياس الى المجلد الأول ، وذلك لأن المجلة لم تعد تظهر إلا مرة فى كل شهر كما أنها أطالت فيما تنشره من ملخصات الموضوعات ولو ان هذا المجلد احتوى على ثلاثمائة صفحة كسابقه .

---

(١) مجلة العشرية المصرية ج ٢ ص ١٩٢ — ٢٠٠

ثم اقتضى الحال أن يهدى المجلد الثالث إلى الجنرال « منو » القائد العام وصدره الناشرون بما يأتى « لقد حافظنا لهذه الصحيفة التى بدأنا إصدارها واستمررنا فيه وسط استعار الحرب على اسمها القديم على الرغم من أننا نبهنا فى رأس المجلد الثانى أنه غير مناسب لها تمام المناسبة ، ولكن سيظهر فى المستقبل كل مجلد مجزءا إلى ثلاث كراسات كل منها مائة صفحة تقريبا » ولكن إحدى كراسات هذا المجلد بلغت مائة وست عشرة صفحة .

وغاية القول فى هذا المجلد الأخير أنه شديد الشبه جدا بالمجلدين السابقين ، فيه مذكرات كثيرة أهمها مذكرة المواطن جيرار Girard عن الزراعة والتجارة فى الصعيد (١) وتقارير مطولة أهمها التقرير الذى تقدم به أحدهم للجنرال بونابرت عن صناعة الخبز فى مصر (٢) ومن ألطف ما نشره هذا المجلد تنبيه الدكتور دجنت باللغة العربية وترجمتها باللغة الفرنسية (٣) نصه

---

(١) مجلة العشرية المصرية ج ٣ ص ٢٧

(٢) » » » » ١٢٩

(٣) » » » » ١٩٦

« هذا تنبيه فيما يخص داء الجدرى المتسلط الان ، وذلك بشرح موجه إلى أرباب الديوان بمصر القاهرة من قبل السيتوين — أى المواطن — دجنط رئيس الأطبا فى الجيش الفرنساوى بجهة الشرق فى (٢٠ من شهر شعبان سنة ١٢١٤ هـ) بمصر القاهرة » وقد نشرت الجريدة رد الديوان على هذا التنبيه باللغة العربية مترجمة الى اللغة الفرنسية (١) نصه « من محفل الديوان العالى بمصر المحروسة . خطابا الى السيتوين (كذا) الخواجة دجنط رئيس الأطبا الفرنساوية جعل الله الخير على يديه . أما بعد الدعا لكم بخير فأنه سابقا وصلت من بينتك وهى الرسالة التى عم نفعها بين الخاص والعام من أهالى مصر من جهة الرسالة والكتاب الذى اللفتوه (كذا) فى علاج الجدرى وأسبابه وإصلاح غذايه وتدبير أدويته وقطع ضرره . وقد شكر الناس جميعا كمال عقلكم وحسن صنيعكم وعلموا مزيد اتقانكم فى علم الحكمة والطب وفرح الناس جميعا بهذا الكتاب وادخروه عندهم ليحفظوا أنفسهم من هذا الداء العضال الكثير المنتشر فى إقليم

---

(١) مجلة العشرية المصرية جـ ٣ ص ١٩٧

مصر وكثرة دعوات النـاس الصـالحة لـكم وشكروا إحسانـكم ومعروفـكم ، وعلموا أن الفرنساوية لهم خبرة ومعرفة واتقان بعلم الطب ، وكان السبب فى اعتراف الناس بذلك هو هذا الـكتاب ولا تقطعوا عن الناس معارفكم وعلومكم ، قال النبي صلى الله عليه وسلم . خير الناس من نفع الناس ، من علم علما وعلمه حصـل له الثواب الـكثير والأجر العظيم من الله والسلام عليكم ورحمة الله»

وفى تبـادل هذين الـكتابين ونشرهما فى مجلة أدبيـة يتبين إلى أى حد عنى الفرنسيون بنشر كل ما له صلة بتمجيدهم فقد خرجوا على ما وعدوا فى مقدمة تاليان التى أشارت الى بعد المجلة عن الأخبار أو السياسة ، ولا شك أن رد الديوان على دجنت وشعر نقولا الترك فى المجلد الأول يؤكد أنهـا لم تخل من موضوعات خارجية كما رأينا ذلك فى نشرها بعض الأخبار الفينة فالفينة وإن كان ما ضربناه من مثل نادرا فى صفحاتها الـكثار .

كان نشاط لاديكاد فى عهد الجنرال منو قاصرا عن أن يجارى نشاطهـا فى عهد بونابرت وكليبر ، فوقفت الجريدة عن نشر بحوث جديدة للعلماء ، ذلك لأن منو جافى العلماء وأثقل عليهم وانصرف عن تشجيعهم ولم يتأثر خطى بونابرت وكليبر

حتى إن بعضهم التمس ألا يضيع وقته بسياحة فى صعيد مصر لعله يستفيد شيئا (١) ويؤيد هذا الرأى أن معظم البحوث التى نشرت فى المجلد الثالث كانت من آثار العهد السابق فى أيام كليبر وبونابرت وإن كان هذا المجلد صدر بأهداء الى منو ، وقد يلتمس العذر للجنرال منو ، فقد كانت الحروب المتصلة بينه وبين الاتراك والانجليز سببا فى انصرافه عن تأييد العلم والعلماء ومخالفة خطة سابقيه فى هذه السبيل كما أنه لا يخفى علينا أن كثيرا من قواده أعضاء فى المجمع العلمى قتل بعضهم فى ثورة أو موقعة وحرمت ظروف الحرب غيرهم من أداء الوظيفة العلمية التى ارتبطوا بها وقت السلم ، ولعل للحالة المالية دخلا فى هذا التوقف الذى طرأ على نشاط هذه المجلة .

غير أنه فى مقدورنا بعد هذا كله أن نقول إن مجلة (لاديكاد اجبسين) كانت سجلا عظيما لجهود العلماء والأدباء من الفرنسيين فى مصر وأنها قيدت أفضل البحوث وأمتع الموضوعات التى تتصل بحياة المصريين وبلادهم وأصبحت بذلك مرجعا وحجة

---

(١) هامش ص ١٤٩ Reynier. De l'Egypte après la bataille d'Héliopolis et considérations générales sur l'organisat. physique. et politique de ce pays.

لنشاط البعثة من الناحية العلمية ، وقد بقيت محتفظة بقيمتها التاريخية حتى نشر ديدو Didot عضو المجمع العلمى مجلداته الأربعة المستفيضة بموضوعات شديدة الشبه بما سطرته العشرية المصرية وجاءت هذه المجلدات الأربعة بعنوان «مذكرات عن مصر» وقد صدرت بين العام الثامن والحادى عشر من تاريخ الثورة (١)

وتعتبر جريدتا لوكوريه دوليجبت ولاديكاد اجبسين الجريدتين الوحيدتين اللتين نشرتا فى مصر خلال الحملة الفرنسية وكان لهما فى تاريخ مصر وفى تاريخ الحملة نفسها أثر عظيم عرفته أوروبا كمعرفة الفرنسيين له إذ أنهما كانتا تطالعان فى أوروبا أيضا (٢) إما تهريبا وإما عن طريق الأميرالية الأنجليزية المحاصرة للأسكندرية التى كانت ترسل إليها مجلة لاديكاد بأمر من بونابرت (٣)

---

(١) شارل رو ص ١٥٢

(٢) ص ١ Munier. La Presse En Egypte

(٣) مراسلات نابليون . وثيقة رقم ٣٦٣٣ جـ ٥

الفصل السادس

جريدة التنبيه

وزعت جريدة التنبيه L'Avertissement رأى المؤرخين وفرقت اجماعهم ، فنسبها بعضهم الى بونابرت اعتمادا على ميوله الصحفية وللمطبعتين العربيتين اللتين حملهما معه ، فقد كان الرجل من الناس الذين يقدرون الصحافة حق قدرها ويعلم خطرها وأثرها فى توجيه الرأى العام لذلك لم يكن من المستبعد أن يكون قد فكر فى إنشاء صحيفة عربية تذيع أغراضه ونواياه وقد رأيناه شديد العناية بأذاعة النداءات العربية بين الحين والحين ، وهذه كانت تقوم مقام الصحف على غير ميعاد بيد أن ظروف الجنرال بونابرت لم تسمح له بأن يحور هذه النداءات بحيث تتصل وتتسع لأغراض أخرى وتصبح صحيفة يقرأها الناس فى ميعاد معلوم ؛ وكذلك لم يوات العمر الجنرال كليبر حتى يفكر مثل هذا التفكير ، فلما تولى عبد الله جاك منو حكم مصر من بعدهما وكان قد أشهر إسلامه وأذاعه بين المصريين وتزوج منهم ، وجد بين السكان وغيرهم من ذوى الأغراض من يقول الأباطيل عن

الفرنسيين ، فاستوضح رأى مواطنيه من قادة الحملة فى دفع هذه الأباطيل وإنشاء جريدة تردها عنهم فكتب إليه كبير الأطباء الدكتور دجنت بتاريخ أول (فريكتيدور من السنة الثانية للجمهورية) يحدثه بأن فكرة إنشاء جريدة عربية شغلته كثيرا ، ويوضح له أن تنظيم مشروع مثل هذا من شأنه أن يلقى نورا على خدمات الفرنسيين لمصر ، ويوضح موقفهم أمام الوطنيين ويكبت صدور دعاة السوء ، ويعرض عليه أن يقوم بأصدار هذه الصحيفة جماعة من الفرنسيين والمصريين تلحق بالحكومة رأسا وتتبع مشورتها وترفع الغشاوة التى تخيم على عيون الناس وتدلهم على طريق الأصلاح الذى يراه المصريون خرافة من الخرافات (١)

قرأ منو هذا الكتاب ويظهر أنه تأثر به فاهتم للأمر اهتماما خاصا وأصدر فى (٥ فريمير من السنة التاسعة للجمهورية) ٢٦ نوفمبر سنة ١٨٠٠ مرسوما بأنشاء جريدة « التنبيه » وننشر هنا نص هذا المرسوم .

---

(١) ص ١٦١ Rigault. Le Général Abdallah Ménou et la dernière phase de l'éxpédition d'Egypte.

« يأمر منو القائد العام بما يأتى :ـ

« ستطبع فى القاهرة صحيفة عربية الغرض منها نشر أعمال الحكومة الفرنسية فى جميع أنحاء القطر المصرى ، وتأمين السكان من التسرع فى الحكم ومن القلق الذى قد يعمل البعض على بعثه فيهم ، وأخيرا لتحقيق الثقة وتمكين الألفة اللتين تتوطدان أكثر فأكثر بين هذه البلاد وبين الفرنسيين ، وستحمل هذه الصحيفة اسم « التنبيه » وسيشرف عليها الشيخ سيد اسماعيل الخشاب ، وستطبع فى المطبعة الأهلية لكى توزع فى القاهرة والأقاليم وستسلم عدة نسخ من هذه الجريدة لرؤساء القوافل المختلفة التى تفد إلى القاهرة . ولن تفوت فرصة فى إيصالها إلى اليمن والشام وداخل افريقية بالسبل التى فتحتها التجارة . ولكى لا تضمن هذه الصحيفة أى شىء يسىء إلى تقاليد الشرق المدنية والدينية سيحاط العلماء الذين يتكون منهم الديوان علما بكل ما ستحتوى عليه الصحيفة وسيكون من حقهم إجازة النشر أو رفضه

« ستقسم التنبيه أو صحيفة بلاد العرب إلى أربعة أبواب ، يحتوى الأول منها على أعمال الحكومة الفرنسية ، والثانى على

أعمال الديوان ، ويختص الثالث بأذاعة الحوادث العامة فى أوروبا أو آسيا والتى قد يهم سكان مصر معرفتها ، وسيعرف القسم الرابع بعض الأساليب التى تتعلق بالفنون والعلوم ، وستضاف بعض المقالات عن الأخلاق وعن المبادىء العامة التى من شأنها أن توجه كل حكومة صالحة » .

« سيراقب تحرير ونشر هذه الصحيفة المواطن فوريه رئيس إدارة العدل فى مصر وسوف يمهر كل أصل عربى بتوقيع المترجم الأول للديوان ، ولا يمكن أن يسلم للطبع إلا بعد تصريح من رئيس إدارة العدل ، وستحفظ هذه الأصول فى سجل الديوان وترسل الصورة إلى المطبعة ، وأنه محظور قطعاً فى نشر هذه الصحيفة الابتعاد عن الحدود التى رسمت » (١)

ظاهر من هذا الأمر أن الاهتمام بأصدار هذه الجريدة كان يتصل اتصالا مباشرا بالحالة المضطربة التى تقوم عليها علاقة الفرنسيين بالمصريين لذلك صدر الأمر بأنشائها « لتأمين السكان من التسرع فى الحكم » على تصرفات الحكومة . كما أن من أهم

---

(١) وثيقة رقم ٣١ ص ٣٧٥ — ٣٧٧
Rousseau. Kléber et Ménou en Egypte.

أغراضها أن تصون الناس من « القلق الذى قد يعمل البعض على بعثه فيهم » فالفكرة فى إنشاء التنبيه هى الرغبة فى أن يعرف المصريون خاصة والشرقيون عامة أعمال الحكومة الفرنسية فى إدارة مصر كما أنه من أغراضها تهيئة نفوس المصريين بما تنشره من عظائم الأمور (١) على أن الآمال التى علقها الجنرال عبدالله منو على اصدار هذه الجريدة لم تتحقق ، ذلك أن أمره بأنشائها « بقى معطلا » ولم يعمل به (٢) .

وقد شغلت هذه الجريدة كثيرين من الذين كتبوا عن الصحافة المصرية فى عهد الحملة سواء من الفرنجة أو الشرقيين ، فبينما يذكر شارل رو فى كتابه (بونابرت حاكم مصر) اسمها فحسب دون أن يعلق عليها بحرف (٣) نرى كانيفيه يهمل الحديث عنها إهمالا لا نشك فى تعمده فى مجلة المجمع العلمى المصرى ١٩٠٩

---

(١) ص ١١٧ ج ٢ Galland. Tableau de l'Egypte Pendant le Séjour de l'armèe française.

(٢) ص ١٦١ Rigault. Le Général Abdallah Ménou et la dernière phase . . . .

(٣) شارل رو ص ١٥٣

ثم يطالعنا جيس فى نفس المجلة سنة ١٩٠٧ وهو يشرح (تاريخ الطباعة فى مصر) بحديث عن جريدة التنبيه فيقول إن منو أمر بطبعها فى ١٥ فريمير Frimaire ٩ جمهورية - ٦ ديسمبر ١٨٠٠ - طبعت باللغة العربية فى المطبعة الأهلية ، وكان يحررها الشيخ سيد اسماعيل ارشاب — يقصد الخشاب — محرر الحوادث اليومية فى الديوان لتوزع فى القاهرة والأقاليم ، وكان الجهد يبذل لتوزيعها فى اليمن وسوريا وإفريقية الداخلية ، وكان ينبغى أن تقدم لعلماء ديوان مصر الذين كان لهم حق إجازة النشر أو رفضه ، وعهد إلى المواطن فورييه أمر تحريرها ونشرها وهو الذى كان فى ذلك الوقت رئيس إدارة العدل فى مصر (١)

وقد لاحظنا أن جيس قطع بظهور الجريدة ولم يكلف نفسه عناء البحث ، بل قرأ مرسوم منو بنشرها فتخيل أن المرسوم قد وضع موضع التنفيذ وأن الصحيفة طبعت ووزعت ونشرت فى مصر وبلاد أخرى ، وقد أثبت التاريخ أن الحملة الفرنسية خسرت موقعة سوريا وهى احدى البلاد التى تقرر توزيع التنبيه فيها ،

---

(١) ص ١٤٩ Geiss. Bull. de l'Inst. Egyp. 1907

وأن خصوم منو من الانجليز والاتراك قد أطبقوا على الجيوش الفرنسية فى مصر وحاصروها فعزت مواصلات اليمن وافريقية الداخلية ، وأن الحكومة القائمة فى البلاد لم يكن قد استتب لها الأمر بعد لتصدر صحفاً تذاع هنا وهناك ، وهى حكومة تختنق بالحصار والثورات والافلاس السياسى والمادى

حقا إن منو كان راغبا أشد الرغبة فى استعمار مصر والبلاد التى جاء ذكرها فى مرسوم الجريدة ، وكان يرجو أن تكون مصر مركزا لهذه المستعمرات ، غير أن مشروعاته جميعا ولدت ميتة ، ومن بينها مرسوم التنبيه .

وقد أخطأ Geiss فى موعد المرسوم فزعم أنه يوم ٦ ديسمبر سنة ١٨٠٠ وصحة الموعد كما رأينا ٢٦ نوفمبر من نفس السنة ، كما أننا لاحظنا فى مقال الكاتب المذكور أنه صور رسوما شتى للمطبوعات التى أخرجتها مطابع الحملة فى مصر سواء باللغة العربية أو الفرنسية ، فلو انه استطاع أن يحصل على جريدة التنبيه لنشر لها صورة كزميلتيها لاديكاد ولوكوريبه ، وهى أهم كثيرا من الحروف الهجائية العربية والمنشور الصادر فى ٦ بريمير Brumaire سنة ٩ جمهورية .

ثم نعود إلى مؤرخى الصحافة المصرية من الشرقيين فنجدهم فريقين ، فريق يزعم أن الجريدة وجدت ويسميها بما يشاء من أسماء ويحدد وقت ظهورها على ما يشتهى ويريد ، فطرازى ومن تبعه يزعمون أن الجريدة ظهرت واتخذت اسم « الحوادث اليومية » والخلط هنا واضح بين التنبيه ولوكورييه ، ثم يزعمون أن بونابرت هو الذى أصدر الأمر بأنشائها ، وأن سراجها انطفأ « لدى انسحاب العساكر الفرنساوية من مصر » (١) وفريق آخر يتفق معنا اتفاقا صريحا ، وفى مقدمة هؤلاء الرافعى (٢) ثم كمال الدين جلال بيد أنه يزعم أن الجبرتى أشار إليها وتحدث عنها (٣) ومصدر هذا الاضطراب فيما نعتقد أن الكاتب لم يدرس الديوان المصرى فالتبست عليه وظيفة الخشاب فيه .

لم يذكر الجبرتى — وهو عمدتنا فى تاريخ الخشاب — لم يذكر قط تلميحا أو تصريحا أنه كان محررا لجريدة عربية إذ قال

---

(١) طرازى . تاريخ الصحافة العربية ص ٤٨ ، ٤٩ ج١

(٢) الرافعى . تاريخ الحركة القومية ص ٢٢٩ ج٢

(٣) جلال . ص ٢٤

« ولما رتب الفرنساوية ديوانا لقضايا المسلمين تعين المترجم فى كتابة التاريخ لحوادث الديوان وما يقع فيه من ذلك اليوم لأن القوم كان لهم مزيد اعتناء بضبط الحوادث اليومية فى جميع دواوينهم وأماكن أحكامهم ثم يجمعون المتفرق فى ملخص يرفع فى سجلهم بعد أن يطبعوا منه نسخا عديدة يوزعونها فى جميع الجيش حتى لمن يكون منهم فى غير المصر من قرى الأرياف فتجد أخبار الأمس معلومة للجليل والحقير منهم ، فلما رتبوا ذلك الديوان كما ذكر كان هو المتقيد برقم كل ما يصدر فى المجلس من أمر أو نهى أو خطاب أو جواب أو خطأ أو صواب وقرروا له فى كل شهر سبعة آلاف نصف فضة ، فلم يزل متقيداً فى تلك الوظيفة مدة ولاية عبد الله جاك منو حتى ارتحلوا من الأقليم مضافة لما هو فيه من حرفة الشهادة بالمحكمة ، وديوانهم هذا ضحوة يومين فى الجمعة ، فجمع من ذلك عدة كراريس ولا أدرى ما فعل بها » (١)

فسلسلة التاريخ عبارة عن محاضر جلسات الديوان وسجل

---

(١) الجبرتى . ص ٢٥٤ ، ٢٥٨ ج ٤

الحوادث الهامة التى تمر بهذا الديوان ، ووظيفة الشيخ الخشاب هنا كما يقول الجبرتى أنه يرقم كل ما يصدر فى المجلس ولا يفوت شيئا ، فكانوا ينقلون بعض ما يحدث فى الديوان ويذيعونه على مواطنيهم ، ولا شك أن هذه الأذاعة كانت تترجم إلى لغتهم ثم تنقلها إليهم جريدة لوكوربيه التى توزع على جيشهم وهو جيش فرنسى لا يعرف اللغة العربيــة فيما نعلم ! وهم يجمعون المتفرق عنـاية منهم بضبط الحوادث اليوميــة فى جميع دواوينهم ومنهـا الديوان الذى تعين له الخشاب أمين محفوظات ، وقد جمع هـذا الأمين عـدة كراريس لا يدرى الجبرتى ما فعل بهـا ، وليست الـكراريس هنا إلا مجموعة محاضر الجلسات التى رقم فيهــا ما يجرى فى المجلس ضحوة يومين فى كل أسبوع .

وبالرجوع إلى الأغراض الأربعــة التى تضمنهــا مرسـوم جريدة (التنبيه) وهى نشر أعمال الحـكومة الفرنسية ثم أخبـار الديوان المصرى ثم إذاعة أخبـار أوروبا وآسيا التى تهم مصـر وأخيرا بعض مسائل الفن والأدب ، يتبين لنا أن نشر حوادث الديوان فى هذه الجريدة غرض ضمن أغراض أربعة ، والمفهوم

من رواية كل من اعتمد على الجبرتى أو اقتنع بأن الرجل قصد من قوله السابق الى تقرير وجود هذه الصحيفة ، أنها كانت وقفا على أخبار الديوان وحدة وأسقطوا من حسابهم المرسوم وما احتوى عليه من أغراض ظاهرة .

وقد رجعنا إلى كل ما يمكن الرجوع إليه من المراجع الهامة والمصادر الموثوق منها فلم نجد أثراً لهذه الجريدة إلا ما اتصل بالوثيقة التى احتوت على الأمر بأنشائها فحسب ، وقد رأينا فى المكتبة الأهلية بباريس ألوانا من وثائق الجملة ولم نعثر على عدد واحد من هذه الجريدة المزعومة ، وطبعى أن الفرنسيين الذين اعتنوا بحفظ اشياء كتبت باللغة العربية ليس لها من الخطر التاريخى شىء كثير ، كان يجدر بهم أن يحتفظوا ولو بعدد واحد من الجريدة العربية الوحيدة التى زعم البعض أنها نشرت فى عهدهم . وقد فصل الجبرتى وظيفة الخشاب فى الديوان والمحكمة ، وروى كثيرا من شعره وعلاقته ببعض أدباء العصر كالشيخ العطار ، وأطال فى شرح صلاته بشبان الفرنسيين ولم ينس حديث زوجته وابنها العليل وقبره المزار . ما نظن الجبرتى يفصل هذا

ثم يغفل أهم وظيفة له وهى تحرير أول جريدة عربيـة فى مصر ، وهى وظيفة لها من الخطر ما يفوق وظيفة الشهادة بالمحكمة وقصة امرأته وكعكها ! وخاصة إذا كان الرجل قد شغل الوظيفة حقا وأدى واجبه فيها على الوجه الذى نص عليه مرسوم التنبيه ، على أن وظيفته فى الديوان كمسجل لأموره جميعا ووظيفة الشهادة فى المحكمة ما كانتا تسمحان — فى رأينا — بأن يشغل رئاسة تحرير الجريدة إلا إذا تفرغ لها ووقف نشاطه عليها

ومجمل القول ان الجبرتى لم يذكر وظيفة الخشاب فى الجريدة من بعيد أو قريب كما أنه لم يشر إليهـا قط . وإن المرسوم الذى صدر بأنشـاء التنبيه لم يعمل به . وإن كاتبـا أو مؤرخا ذا قدر فى رجال الحمـلة الفرنسية لم يتحدث عن صـدورها . وإن جميع ما ذكر عن ظهور هذه الصحيفة أو انتشـارها لا ينحصر إلا فى مرسوم إنشائها فحسب .

مراجع الكتاب

ا — المراجع العربية

— الجبرتى (الشيخ عبد الرحمن) . عجائب الآثار فى التراجم والأخبار . الجزء الثالث والرابع . القاهرة ١٣٢٢ﻫ

— الرافعى (عبد الرحمن بك) . تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر . الجزء الاول والثانى . ١٩٢٩

— على مبارك باشا . الخطط التوفيقية . عشرون جزءا فى خمسة مجلدات . بولاق ١٣٠٦ ﻫ

— غربال (محمد شفيق بك) . مجلة كلية الآداب . المجلد الرابع . الجزء الأول ١٩٣٦

— فيليب دى طرازى (الكونت) . تاريخ الصحافة العربية . أربعة أجزاء . بيروت ١٩١٣

ب — المراجع الفرنجية

١ — وثائق مطبوعة

— Correspondance De Napoléon 1er. T. IV-V. Paris MDCCLX

— Keller, A. Correspondance, Bulletins et Ordres du Jour de Napoléon. T. IV

٢ — الكتب

— Bevan, E. A History of Egypt Under Ptolemic Dynasty. London 1927

— Bourrienne, F. Memoires de M. De Bourrienne. T. II Paris 1829

— Butcher. The Story of the Church. London 1897

— Charles-Roux, F. Bonaparte Gouverneur d'Egypte Paris 1936

— Dictionnaire Etymologique de la Langue Française Paris 1939

— Discription de l'Egypte, 2e édition. T. XVI

— Desgenettes, N. R. D. Souvenir d'un médecin de l'éxpédition d'Egypte, Paris 1892

— Dupont, P, Histoire de l'Imprimerie, Paris 1854

— Galal, K, E, Entstehung Und Entwicklung der Tages-presse in Agypten, Limburg an der Lahn, 1939

— Galland, A. Tableau de l'Egypte pendant le séjour de l'armée française, an XI

— Hanotaux, G. Histoire de la Nation Egyptienne : T, V, L'Egypte Turque, Pachas et Mame-luks du XVIe, au XVIIIe siècles, l'Expéd. du Général Bon. Henri. D. Paris 1931

— Larousse du XXe Siècle, Tome II

— Munier, J. La Presse en Egypte (1799 - 1900) Notes et Souvenirs. Le Caire 1930

— Nouveau Larousse Illustré

— Reynier, De l'Egypte après la bataille d'Héliopolis et considérations générales sur l'organisation Physique de ce pays, Paris 1802

— Rigault, G, Le Général Abdallah Menou et la dernière phase de l'éxpédition d'Egypte Paris 1911

— Rousseau, M. F, Kléber et Menou en Egypte depuis le depart de Bonaparte (Août 1799 - Sept' 1801) Paris 1900

— Weill, G. Le Journal, Origines, Evolution et Rôle de La Presse Periodique, Paris 1934

٣ — الدوريات

— Annuaire de La République Française. L'An VII Le Caire An VIII
— Le Courrier de l'Egypte. 1798 - 1801
— La Décade Egyptienne. 1798 - 1801

٤ — مقالات فى المجلات العلمية

— Belin, M. Notice Nécrologique et Littéraire Sur M. J. J. Marcel, Journal Asiatique 5e sèrie, Tome III, 1854
— Canivet, R. G. L'éxpédition d'Egypte. La Revue Internationale d'Egypte, 1906
— Canivet, R. G. L'Imprimerie de l'expédition d'Egypte Les Journaux et Les Proces - Verbaux de L'Institut (1798 - 1801) Bulletin de l'Institut Egyptien 5e Sèrie. Tome III. Fasc 1-2. 1909
— Geiss, M. A. Histoire de l'Imprimerie en Egypte. Bulletin de l'Institut Egyptien 5e sèrie Tome I. 1907

قاموس الأعلام

تابع قاموس الأعلام

تابع قاموس الأعلام

تابع قاموس الأعلام

تابع قاموس الأعلام

فهرست

تم طبع الكتاب

فى ١٥ نوفمبر سنة ١٩٤١

مطبعة التوكل بدرب الجماميز مصر


DATE DUE
FEB 16 2009
GAYLORD
PRINTED IN U.S.A.


COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE
CU58889353
893.785 Ab32
Tarikh al-tibaah wa-